Phone : 22948

Regd. No. LW/NP59

ALBAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA, LUCKNOW. (INDIA)

البعث الإسلامي

شعارنا الوحيد : إلى الإسلام من جديد

٦٥١٢
٢٠٥٢٢.

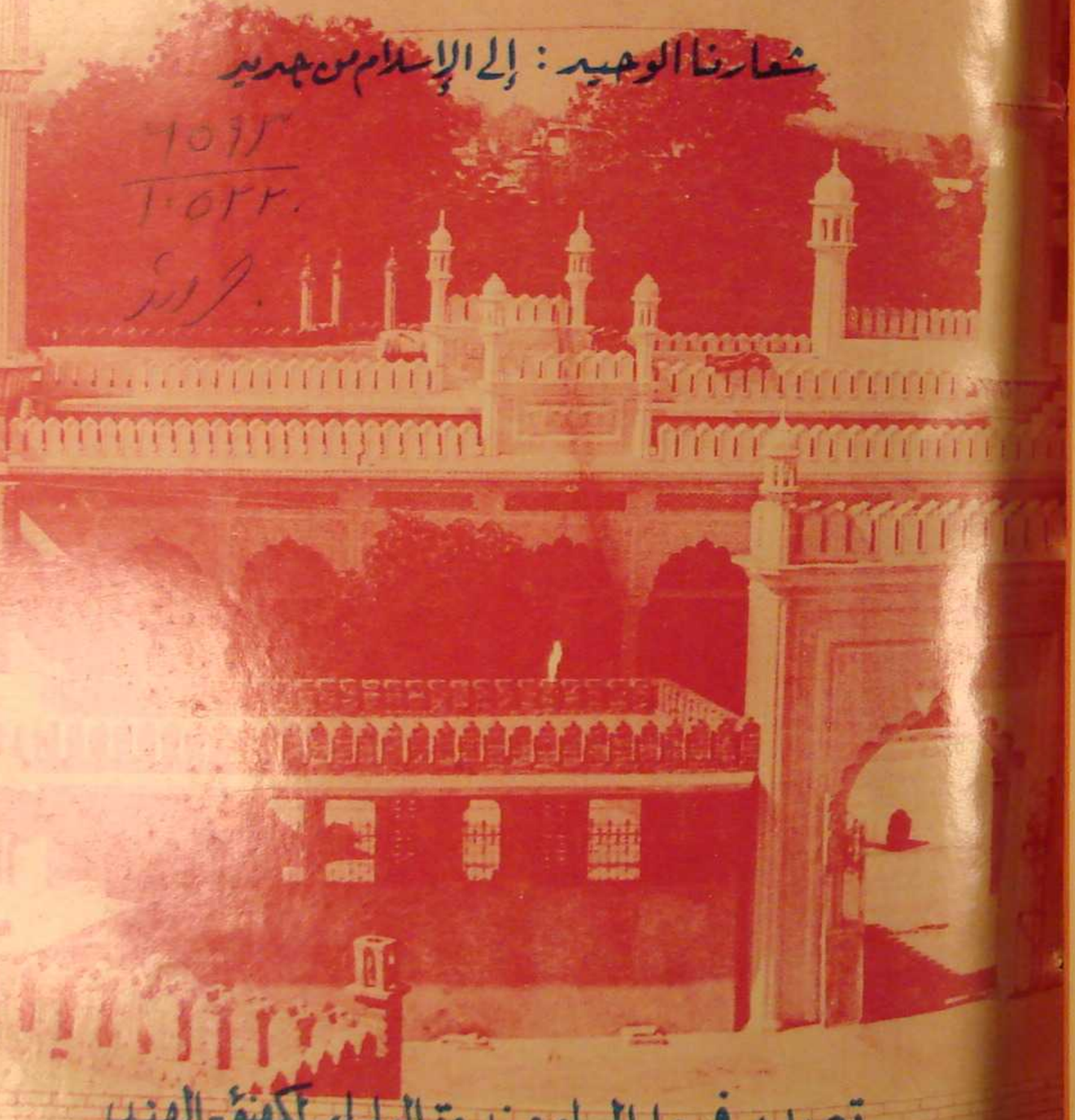

تصدر في دار العلوم ندوة العلماء - لكهنؤ - الهند

الدعوة

صحيفة" إسلامية" جامعة"،

تستأنف سيرها بعد احتجاب طويل عن العيون،
وتواصل نشاطها الدعوي في حقل الاسلام،

صدر العدد الأول في رجب ١٣٩٦هـ وساهم في
تحريرها كبار الكتاب الاسلاميين

رئيس تحريرها : صالح عثماوي
مديرها والمشرف عليها : عمر التلمساني

يرجى الاتصال باالعنوان التالي

٨/ ميدان السيدة زينب ص. ب١٦٣٦
القاهرة (جمهورية" مصر العربية")

البعث الإسلامي

رئيس التحرير : محمد الحسني
مدير التحرير : سعيد الأعظمي

المجلد الحادى والعشرون — العدد الرابع — ★ محرم الحرام ١٣٩٧ھ ★ يناير ١٩٧٧ م

ضعف القيادات الاسلامية

إن قصة القيادات فى العالم الاسلامى فى هذه الفترة التى تمتد على نصف قرن ، هى قصة محاربة طبيعة الشعوب الاسلامية الدينية و محاولة التخلص منها أو التغلب عليهـــا بكل حيلة و وسيلة ، الحرب الشعواء التى أسفرت فى أكثر الأقطار الاسلامية عن الإخفاق و الفشل ، و لكنها استهلكت جهود هؤلاء القادة و طاقات هذه الشعوب من غير أن تعود عليها بجدوى ، و قد كانت جهود أقل منها تقوم على معرفة هـــذه الحقيقة و تقرير هذا الواقع تعود على الأمـة و البلاد بحاصل كبير و توفر الوقت و الجهد على هؤلآء القادة .

أبو الحسن على الحسنى الندوى

الفهرس

قفوا ، هذا الطريق مسدود !	محمد الحسنى	٣
★ التوجيه الاسلامى		
بين العهد الفطرى و العهد الشرعى	فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى	١٠
الانسان الكامل كما يراه محمد إقبال	فضيلة الأستاذ السيد أبو الحسن على الندوى	١٨
دور الاسلام فى صنع التاريخ	فضيلة الأستاذ محمد إبراهيم	٣٠
★ الدعوة الاسلامية		
تحريم موالاة أعداء الاسلام	الأستاذ عبد الرحيم صالح عبد الله	٣٩
فلسفة المندوب فى الشريعة الاسلامية	للدكتور عبد الكريم زيدان	٥٢
★ دراسات و أبحاث		
كتاب « الزهد الكبير » للحافظ البيهقى	الدكتور تقى الدين الندوى	٥٧
كتاب العلل للترمذى	فضيلة الشيخ فضل الله الحيدر آبادى	٦٦
الانتاج العلمى لأبناء ندوة العلماء	الأستاذ نور عالم الأمينى	٧٦
★ فى رياض الشعر و الأدب		
الساعة الخامسة و العشرون	. . . .	٨٧
إلهى . . لاتعذبنى	لأبى العتاهية	١٩
شباب الاسلام	ه . ر .	٩٢
★ العالم الاسلامى		
صور وأوضاع	محمد الحسنى	٩٣
بين فقه الاسلام و أخلاق الاسلام	. . . .	٩٧
الشيخ المفتى محمد شفيع فى ذمة الله	. . . . .	١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

قفوا ، هذا الطريق مسدود !

هذا «الشارع الرئيسى» الذى يبدو واسعاً ، مرصوفاً ، مفتوحاً للسائرين مسدود - مع الأسف - فى آخر الشوط و نهاية المطاف .

و هذا « اليانصيب العام » الذى يجرب فيه كل بلد حظه ، و يحرق فيه كل شعب أنامله يانصيب خائب لا يعود صاحبه إلا بالخسران المبين .

فالى متى نجوب فى حلقة مفرغة لانهاية لها ، و نلدغ من جحور مرات و كرات ، و ندور كحمار الطاحون فى مكان واحد .

إنه موقف العقـــل و الاستقراء ، و منطق النفع والضرر ، و موضع كشف الحسابات و الأوراق ، لا موعظة المنبر و خطبة الجمعة — من غير إساءة إليها و تقليل من شأنها —

لقد قال شاعر الاسلام محمد إقبال فى أحد أبياته الرائعة المتمثل فيها كأن الرب سبحانه يخاطب عبده ويقول له [انزل فى أغوار نفسك العميقة البعيدة ، واكتشف سر الحياة و سرالبقاء ، و إذا لم يعجبك أن ترض بقضائى ورضائى فارض برضا نفسك وانظر إلى ما فيه نفعك و خيرك]

ألم تكن هذه التجارب الطويلة القاسية التى مررنا بها - و لا نزال - منذ الخمسينات و الستينات على قدر واف من الكفاية لاستجلاء وجه الحق ، و جانب الصواب .

بلى ، إنها على قدر كبير من إثارة الغيرة و إثارة الجروح ، و الضرب على الوتر الحساس و الشعور المرهف . . إنهـــا رفعت الغطاء عن الأبصار ، و كشفت الحجاب عن القلوب .

و أسفر الصبح لكل ذى عينين !

إن الأحداث الأخيرة فى العالم الاسلامى لم تدع لنا مجالا للقول ، فالأحداث بدأت تعبر عن نفسها بنفسها .. ومع ذلك فقد ظل الكلام المنطوق والمكتوب يطغى - كالسابق - على جانب كبير من حياتنا السياسية و الاجتماعية .

إن سياسة البناء و الانماء ، و سياسة الجهاد والكفاح ، لا تحتاج إلى كلام كثير ، إنها تنجح بالعمل الصامت الدؤوب ، بالممارسة العملية ، بالسلوك الحسن ، والقدوة الصالحة ، بشئ من شظف العيش و الزهد فى متاع الدنيا ، بتزكية الضمير من شوائب الأغراض و ظلمات الأحقاد و عمليات المساومة و البيع و الشراء ، و تزكيـــة الخلق من أضرار الرياء و السمعة ، و المن و الأذى . و تزكية الأهداف و المثل من توافه الأغراض ، و سفاسف الأمور ـــ هذه « الخطوط الاجتماعية العامة » هى المقدمة اللازمة لسياسة البناء والانماء ، وسياسة الجهاد والكفاح ، فى كل قطر من أقطار العالم الاسلامى .

إنها كزر الكهرباء لا يمسه المرء مساً ولا يضغط عليه ضغطاً إلا و تنور أرجاء البيت كله بمافيه من حجرات ، وسقوف ، ورفوف ، ونوافذ . وأدوات ، و حاجيات مما ينفع الناس .

هكذا تزكية الضمير ، و تزكية الخلق ، و تزكية الأهداف ، فانها تسمح للعلوم و الوسائل بحق البقاء ، و لاتسمح لها بحق البقاء فحسب بل تزيدهـا أهمية و نفعاً و طلاوة .

ثم تجعلها فى خدمة هدفها العام الكبير : هدف النبوة و الرسالة ، و الدعوة و الهداية ، و هدف الرسالة المحمدية الخالدة فى الزمن الأخير .

هنالك تحيا هـــذه الوسائل و العلوم ، و تنتعش ، وتتحول مصدر خير وفلاح للانسانية و إسعاد للبشرية ، بل تتحول جزءاً من رسالة النبوة و هدايتها

للبشر ، و لذلك كان من دعاء النبي ﷺ «اللهم إنى أعوذ بك من علم لاينفع ، ومن قلب لايخشع ، و من عين لاتدمع ، ومن نفس لاتشبع »

هذه العلوم و الوسائل بريئة ، وقيمتها نسبية Relative تنخفض وترتفع بانخفاض مستوى اليقين و الايمان والتزكية و الاحسان فى الانسان ، وبحساب نية المرء و صدقه و إخلاصه و احتسابه ، و بمقدار ما تشع هـذه الوسائل بنور الهداية و التوفيق وابتغاء وجه الله ،

« قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين » هذه الروح المعنوية والجوهر النفيس هو المقصود من كل تلك الوسائل و العلوم .

هذا فى الاسلام ، والاسلام - كما تعرفون - حلال و حرام ، وحدود وشرائع ، أنزلها الله سبحانه لمصلحة البشر ، و هو أعرف بحاجاته وضروراته ، و قد خلقهم و رباهم و أحسن مثواهم ، و أمدهم بكل ما يحتاجون إليه ، « و إن تعدو نعمة الله لا تحصوها ، إن الانسان لظلوم كفار »

أما فى الغرب المادى الذى كفر بنعمة الله عليه ، فقد صارت العلوم والوسائل هناك مقصودة معبودة بذاتها ، بل صارت الماكينات والآلات غايات بنفسها ، وأصبح هديرها حادى الشوق الذى يحفز الغربى على العمل والانتاج .

فما هو الفرق ؟

الفرق الدقيق هو نية العامل و إخلاصه و اجتهاده ، و مراعاة الحلال والحرام ، و هذا هو ملخص الاسلام ، و من شاء فليراجع التفاصيل

فالمطلوب من المسلمين ، ومن الحكومات المسلمة ومن قادتها و حكامها ، ولبنان ينزف دماً ، والعراق تتقطع ألماً ، وسوريا تذهب نفسها عليها حسرات . أن يزنوا الأمور بميزان النفع والضرر ، إذا لم يزنوها بميزان الدنيا والآخرة ، أو بميزان الفناء والبقاء ، والمحدود و اللامحدود ، أو بميزان « القطرة واليم » كما جاء فى التعبير النبوى عن مكانة الدنيا من الآخرة .

عليهم أن يزنوا الأمور قبل فوات الأوان ، فالطريق أمامهم مسدود . .
و لو اختفى فى هذا الوقت عن الأبصار .

هـذا الطريق سلكه « كمال » من قبل ، و قد قيل له : إن هذا الطريق مسدود ، فلم يقبل نصح الناصحين و فرض على شعبه مضحكات و موبقات ، فذهبت جهوده كلها أدراج الرياح ، ورجع الشعب التركى المؤمن إلى قاعدته وهو أقوى إيماناً ، وتمسكاً بمبادىء الاسلام ، و حباً له و تفانياً فى سبيله ، وخلع هذا اللباس القصير الذى لم يناسب قامته الفارعة .

و هذا الطريق سلكه « جمال » فذاق وبال أمره . . . . وعاد شعبه إلى الاسلام كأنما أنشط من عقال ، وفك من أسار ، و صار أبطال الغد ، خونة اليوم ، تراجع حساباتهم ، و تكشف أوراقهم و ملفاتهم .

و لا ملامة و لا عتاب ، فالطريق مسدود ، وهو لا يعرف الرحمة ، و لا يفرق بين الأتراك و العرب والهنود ، سنة الله فى الأرض ولن تجد لسنة الله تبديلا .

هذا الطريق فتح للمشركين والكافرين والمارقين عن الدين لبعض الحين ،

« إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً »

« إنهم يكيدون كيداً و أكيد كيداً فمهل الكافرين أمهلهم رويداً »

« و استدرجهم من حيث لا يعلمون و أملى لهم إن كيدى متين »

و لكنه فتحه الله عليهم عذاباً و لعنة ، ليأخذهم بغتة .

« ثم أخذتهم فكيف كان نكير » .

وهيهات للمسلمين و هيهات للعرب وهم رواد الرسالة ، و حملة الأمانة ، وقادة الانسانية وهداة البشر - إذا ما عرفوا - بعد - طبيعة هذه الأمة وشروط نجاحها ، و ما عرفوا طبيعة الأمم الجاهلية - القديمة والمعاصرة — و طرائق

نجاحها فى الدنيا ، وبداية آلامها فى الآخرة ، وفى حياتها الخالدة الأبدية التى لا نهاية لها . .

إن كل مجهود علمى أو اجتماعى و كل كفاح سياسى ، و بناء اقتصادى أو صناعى يحتاج إلى تقويمه بهذا المقياس النبوى أو المقياس السماوى ، و إخضاعه لهذه الروح المعنوية ، وتصحيحه - كلما انحرفت به السبل - ليسير فى خطه السليم ، و منهجه القويم بأمان و نجاح . .

« و هديناه النجدين فلا اقتحم العقبة » .

هذان طريقان : مسدود ، مفتوح ، فما هى نتائجهما و عواقبهما ؟ .

إن نتيجة الطريق المسدود ، هى الحيرة و الفوضى والضياع ، ضياع النفس و ضياع الأموال و الأولاد ، إن نتيجته الطبيعية الخذلان ، رغم توفر الوسائل والمعدات ، والمعلومات .

نتيجته التطفل والتبعية - على أقل تقدير - والعيش على ذيل الغرب وهامشه و الاقتيات بفتات مائدته ، رغم ما يفيض عندنا من سيول البترول ، و ماهو مستودع فى داخل أراضينا من احتياطى ، و ما لدينا فى بنوك العالم من أرصدة ، و رغم ما نشترى من جزر نائية فى أمريكا و أوربا فضلا عن فيلات و فنادق ، فضلا عن شركات و معامل .

أما الطريق المفتوح فهو طريق الهداية والنور ، طريق يصل إلى عاصمة كل بلد ، و إلى قلب كل رجل ، طريق الاستقلال الذاتى ، و أستاذية العالم ، طريق العلم النافع ، الذى يضع الوسائل فى خدمته و أهدافه و مثله لا أن يضع نفسه فى خدمتها ، و يسير على إرادتها .

إنه طريق نقل مركز القوة والثقل من المعسكر الغربى - الذى جنى على

العالم و على الانسانية زمناً طويلا - إلى المعسكر الاسلامى العربى ، ليحافظ على التوازن المطلوب فى سير القافلة ، و يراقب صحـــة اتجاهها ، و سلامة أهدافها ، و نقاء ضميرها و دوافعها . .

فاذا كان فى نتائج هذا الطريق ما يبعث على الروية و التفكير ، والدراية والتأمل ، وإذا كان فى طبيعة هذا الطريق و شروطه ما يبعث على الاقتناع ، فرجاؤنا من ولاة أمورنا أينما كانوا أن يستعرضوا ما فاتهم عبر السنين ، وما يواجههم اليوم من عقبات ، و أن يشهدوا كتاب الله الخالد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، و سنة رسول الله ﷺ و سنة أصحابه رضى الله عنهم ، ففيهما كل شئ .

أما هذا الدوران الطويل - قرابة ربع قرن أو نصف قرن آخر - فليس من النباهة السياسية ، والوطنية الصادقة فى شئ .

إنما الوطنى المخلص والسياسى الذكى هو من يحس نبض شعبه ، ويسمع دقات قلبه ، و يطلع على أسرار طبيعته ، و يتكلم معه بلغته ، و لا يفرض عليه شيئاً من الخارج فرضاً . . و يجند كل طاقة من طاقاته ، و كل موهبة من مواهبه ، ليتقدم بها فى هذا الطريق المفتوح الذى يدخل - كما قلت - فى عاصمة كل بلد ، و قلب كل مواطن ، مسلماً كان أو غير مسلم . .

لأنه طريق الايمان ، وطريق الهداية والنور ، و طريق العلم والمعرفة ، هذا هو الطريق ، و هذه هى الغاية الرفيعة الأخيرة ، و هذا هو المنتهى فى كل ما يحلمـــه مؤمن ، و يسعد به بشر و آخر ما يتمناه محب لبلاده ، محب لأمة محمد ﷺ .

فأين السائرون ؟ ؟

محمد الحسنى

التوجيه الإسلامي

صفوة الآثار و المفاهيم من سورة البقرة :

بين العهد الفطرى و العهد الشرعى

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى

« يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم و أوفوا بعهدى أوف بعهدكم و إياى فارهبون ، و آمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به و لا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا و إياى فاتقون » من بلاغة القرآن و خصائصه المدهشة التى لن يبلغ شأوها بليغ أبداً هو تفننه بانتظام مسائل مختلفة فى سلك موضوع واحد فانه سبحانه قرر عدم الريبة فى القرآن ثم ذكر أصناف الناس فيه من مؤمن و كافر و منافق ثم ضرب الأمثال للمنافقين ثم ثم طالب الناس بعبادتهم له و أقام الدليل على أن القرآن من عنده و تحدى المرتابين بما يعجزهم .

ثم حاجج الكافرين بأنصع البراهين من إحيائهم مرتين و إماتتهم مرتين و خلق السماوات و الأرض لمنافعهم ثم ذكرهم بأصل الخليقة و اقتضاء حكمته استخلاف بنى آدم فى الأرض و ذكرهم بالامتحان المرير لأبيهم آدم و اهباطه إلى الأرض لابتداء دور القيام بعهد الله متعهداً للمتبعين هدايته قولا و عملا و دعوة بحياة طيبة فى الدارين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون ، لايخافون بما هو آت و لا يبالون بأى قوة مهما عظمت لقوة اعتمادهم على الله الذى يصرفها عنهم أو ينصرهم عليها ، و لا يحزنون على ما فات لجزمهم أن الله يخلفه عليهم و متوعدا الكافرين بالعذاب الأليم على اختلاف أنواعهم .

بعد هذا كله وجه الخطاب إلى اليهود لمجاورتهم المؤمنين فى المدينة وشرقتهم بالرسالة المحمدية مع علمهم بها فى التوراة و مع ما أنعم الله عليهم من نعم ليس لها مثيل و حملهم عهده أحقاباً من السنين فلم يرعوه حق رعايته ففضح دفائن أنفسهم الخبيثة فى مأتين و أربع و ستين آية من وحيه المبارك منها أربع و ثمانون آية فى هذه السورة و سبع وستون آية فى سورة آل عمران ، و تسع و عشرون آية من سورة النساء ، و ثلاث و أربعون آية من سورة المائدة ، وإحدى وأربعون آية من سورة الأعراف هذا عدا ما جاء فى قصة موسى المكررة فى سبع سور من القرآن الكريم وعدا آيات أخرى قليلة فى سورة الاسراء وغيرها تعرضت لذكرهم ، وقد ابتدأ الله التحدث معهم وختمه بندائهم و نسبتهم إلى أبيهم و تذكيرهم بنعمته و عهده بكل لطافة ليفتح قلوبهم و يحرك عواطفهم و يستحثهم على الايمان قائلا .

(يا بنى إسرائيل) و إسرائيل لقب ليعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليهم السلام (اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) فقد أنعم عليهم بعشر نعم عظيمة لم تتوفر كاملة لغيرهم من الأمم سيأتى تفصيلها والمقصود من تذكيرهم أن يشكروها شكراً عملياً فيؤمنوا إيماناً صحيحاً كاملا برسله جميعاً وبوحيه من التوراة التى فيها ذكر خاتم أنبيائه محمد عليه الصلاة والسلام و ذكر أوصافه التى يعرفونه بها كما يعرفون أبناءهم لأنهم إن لم يقوموا بذلك لم يشكروا نعمته بل كانوا بها من الكافرين .

و قوله (و أوفوا بعهدى أوف بعهدكم) هذا العهد المطلق الذى جاء بلفظ المفرد يراد به جميع العهود ، الشرعى منها والفطرى فالعهد الفطرى هو التدبر و التروى بآيات الله الكونية و وزن كل شئ بميزان العقل فانها شاهدة على

الله و على كمال قدرته و إحاطة علمه و شمول حكمتـــه و عظيم رحمته بحيث لا يعذر معها المشرك المعطل عقله و تفكيره تقليداً للآباء أو انجرافاً مع تيار الالحاد أو خضوعاً للبيئة .

والعهد الشرعى بارسال الرسل وإنزال الكتب ، وقد اختص بنو إسرائيل بنصيب كبير من ذلك فعندهم التوراة من أمهات الكتب السماوية فيها التوحيد و فيها التشريعات و الحدود و فيها ذكر العهد على النبيين و أممهم لئن جاءهم محمد ﷺ ليؤمنن به و لينصرنه و فيها ذكر أوصافه تماماً كما تقدم وفيها وعد الله لهم إذا حققوا الايمان و أخذوا وحيه بقوة أن يمكنهم من بيت المقدس و لكنهم نكسوا جميع ذلك فلهذا يذكرهم الله بهذا العهد المتشعب قائلا : (و أوفوا بعهدى أوف بعهدكم) أى أنجزلكم ما وعدتكم به تحت قيادة هذا النبى الذى تعرفونه فى التوراة ، و لما كان سبب مخالفتهم لوحى الله و نقضهم عهود الله الخوف و الطمع قال لهم سبحانه : (و إياى فارهبون) أى لا تخشوا من غيرى أبداً لينحصر خوفكم من دون ما سواى فان الخوف من غيرى شرك و الطمع فى غير مرضاتى إفلاس من الخير الصحيح .

فان كنتم تخافون فوات بعض المنافع أونزول الاضرار بكم إذا خالفتم جماهيركم و اتبعتم الوحى فالأجدر بكم أن لا تخافوا و لا ترهبوا إلا ممن بيده أزمة الأمور لا يحصل نفع أو يحل ضرر إلا بأمره وتدبيره فهو المالك لكل شئ و هو المنعم عليكم بكل شئ و هو القادر على إنزال أفدح العقوبات بكم إذا استمررتم على ترك شكره و عدم الوفاء بعهده و لقد كان من المنتظر أن يسارع يهود المدينة إلى الاسلام و يكونوا دعاة لمن وراءهم إليه لأنهم يعرفون رسول الاسلام ، وقد جاءهم بما يعرفون و لأنهم كانوا يهددون مشركى العرب كما سيأتى بيانه .

و لذا يقول الله لهم : « و آمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم » ذلك أن القرآن جاء مصدقاً بالتوراة و آمراً بالايمان بها و هذا من أكبر الحوافز لهم على الايمان بمحمد ﷺ والقرآن الذى أنزل إليه لو كانت صدورهم سليمة و مقاصدهم حسنة لأنه لو كان على العكس لا يجرح شعورهم و أخذهم الكبر و الاعجاب بما أوتوا لكن لما كان هذا القرآن قد اعطى التوراة و نبيها حقهما فالواجب العقلى الوجدانى فضلا عن الدينى يوجب عليهم الفرح والمبادرة بالايمان لينالوا أجر السبق و مفخرته و لهذا يوجههم الله إلى ما فيـــه خيرهم و عزهم و يحذرهم من إنعكاس الأمر قائلا : « و لا تكونوا أول كافر به » لأن الكافر الأول ينال مساوىء وجرائم كل من تبعه وقلده على الكفر فله نصيب كبير من آثامهم دون أن ينقص عليهم شيئاً من الأوزار و هذا إثم متواصل إلى يوم القيامة ، كما وردت النصوص بذلك لأن المعجب بطريقة ما لا بد أن يحبذها و يدعو إليها فان كانت طريقة حسنة كان له أجرهـا و أجر من تبعه عليها إلى يوم القيامة ، وإن كانت سيئة كان عليه زرها وأوزار من تبعه عليها إلى يوم القيامة .

فلهذا نهاهم الله أن يكونوا أول كافر بالقرآن وكفرهم به جحودهم أنه من عند الله وأولية الكفر هنا لبنى جنسهم فكأنه يقول لهم (يامعشر احبار أهل الكتاب صدقوا بما أنزلت على رسولى محمد عليه الصلاة و السلام من القرآن المصدق لكتابكم و الذى عندكم من التوراة و الانجيل المعهود إليكم فيهما أنه رسولى ونبيى ، ذلك الرسول النبى الأمى الذى تجدونه مكتوباً عندكم فيهما ولاتكونوا أول من كذب به من أمتكم و جحده و عندكم من العلم به ما ليس عند غيركم فيكون عليكم اثم الجميع و تتحملون ضلال من ضل من أمتكم إلى يوم القيامة .

ثم قال سبحانه : « و لا تشتروا بآياتى ثمنـاً قليلا » يعنى لا تستبدلوا بآياتى ما تأخذون من عرض الدنيا على تعليم الدين وما تريدون به بقاء رئاستكم و فرض نفوذكم على عامتكم ذلك أن أكثر ما يصرف العارفين عن الحق هو الطمع إما بالمال الذى يأخذونه بالدجل و الشعوذه أو الطمع بالرئاسة و الجاه و نفوذ الكلمة و جميع هذا يعتبر قليلا مهما عظم و كثر بالنسبة إلى ما عند الله فان الملتزم لآيات الله ينـال من فضل الله العـاجل و الآجل ما لا تعدله الدنيا جميعها و لذا صار الجاحد لآيات الله و المعرض عنها طمعاً بمال أو جاه قد اشترى بها ثمناً قليلا فهو مغبون و صفقته خاسرة

و لذا قال سبحانه و تعالى : « و إياى فاتقون » يعنى اتقوا سخطى فى بيعكم آياتى بالثمن الخسيس الذى هو طمعكم بمال أو جاه أن أنزل بكم ما أنزلته بأسلافكم من العقوبة و النقمة وخذوا لأنفسكم وقاية منها باتباعكم هذا الوحى وتصديقكم بهذا الرسول .

(تنبيه) جاء فى هذه الآية صيغة خطاب الجمع فى قوله (و لا تكونوا ، و لا تشتروا) و قد أفرد لفظ كافر فلم يقل (أول الكافرين) و وجـه الجمع بينهما فى شئ واحد هو أن « و لا تكونوا أول كافر » أى أول فريق كافر فاللفظ مفرد و المعنى جمع فيجوز مراعاة كل منهما ، و قد جمع اللغتين قول الشاعر :

فاذا هموا أطعموا فألأم طاعم و إذا هموا جاعوا فشر جياع

و قيل هو من إطلاق المفرد و إرادة الجمع كقول الشاعر :

وكان بنو فزارة شرعم وكنت لهم كشر بنى الأخينا

يعنى شر أعمام .

و قوله سبحانه و تعالى فى آخر الآية الثانية : « و إياى فاتقون » وفى آخر الآية الأولى « و إياى فارهبون » ليس بينهما تعارض بل هما فى غاية التناسب ففى الآية الأولى التى فيها الأمر بوفاء عهد الله و رعاية نعمة الرسالة لما كان من جملة الموانع عن الوفاء خوف بعضهم من بعض أمرهم الله أن يحصروا خوفهم و رهبتهم من الله فقط ، فهو الذى بيده مقاليد الأمور و هو القادر وحده على عقوبتكم و على سلب النعمة منكم و فى الآية التى تليها قال : « وإياى فاتقون » لأن تركهم الحق واستمرارهم على الباطل كان بسبب اقتضاء المرؤوس غضب الرئيس واتقاء الرئيس فوات منافعه من المرؤسين فطلب الله منهم اتقاءه وحده وعدم المبالاة بما سواه فالتناسب بينهما واضح بديع .

و قوله سبحانه : « و لا تلبسوا الحق بالباطل و تكتموا الحق و أنتم تعلمون » تحذير من الله لهم من أن يلبسوا أى يخلطوا الحق بالباطل حتى يشتبه على عوام الناس و ذلك أن أكثر الضلالات لا تروج على الناس و يتفاقم شرها إلا بسبب هذا الخلط الذى يضيع به وجه الحق ، و قد كان من تلبيس احبار اليهود أنهم يلبسون الأمر على العامة فى شأن محمد ﷺ بأنه من الكذابين استناداً لما جاء فى التوراة من نبوغ أنبياء كذابين و من بعث رسول من بنى إسماعيل موصوف باوصافه الحسية الصحيحة التى يعرفونها فهم يكتمون مافى التوراة من الحق الذى هو الاخبار ببعثة محمد ﷺ ويزعمون أنه من الكذابين الذين جرى التحذير عنهم فى التوراة و هذا من أشنع أنواع الخلط والتلبيس و لهذا قال تعالى : (وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) فهم يكتمون الحق بطريقة الخلط الذى يحصل فيه الالتباس و بعضهم يلبس الحق بطريق النفاق فيظهر الايمان بمحمد ﷺ ولكن يزعم أنه نبى العرب خاصة تلبيساً منه على العامة لئلا يشكوا فى التوراة .

و من معنى اللبس المذكور قوله تعالى : «وللبسنا عليهم ما يلبسون»

وقول الشاعر :

لما لبسن الحق بالتجنى غنين و استبدلن زيداً منى

فزعمهم أن محمداً ﷺ مبعوث إلى غيرهم و هو مبعوث إلى الناس كافة هو من لبسهم الحق بالباطل ليخلط الأمر ، وقيل إن الحق هو التوراة والباطل هو ما كتبوه بأيديهم و دسوه فيها فخلطوا الحق بالباطل و ليس هذا ببعيد لماسيأتى من قوله تعالى : (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كسبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) والسبب الحادى لهم على شن المعركة ضد الاسلام هو ما يعرفونه ويتحققونه من زوال سيادتهم وانتقال القيادة العالمية عنهم إلى بنى إسماعيل ولكنهم لم يلوموا أنفسهم لسوء تصرفاتهم وفساد أعمالهم وأخلاقهم التى بسببها قضى الله سبحانه بنقل القيادة عنهم إلينا بل أبت نفوسهم الخبيثه إلا أن يحاربوا الحق بكل لؤم وخسة و لا يزالون على هذه الحال لأنهم ضربوا بوحى الله عرض الحائط .

و لذا فالله سبحانه يواجههم بهذه النداءات و التذكيرات والوصايا النافعة و التفريعات المؤثرة للقلوب فنجده سبحانه و تعالى بعد تلك النواهى يأمرهم بمايعمر الضمائر قائلا : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين » فأوصاهم باقامة الصلاة لأنها إذا أقيمت على وجهها كانت أفضل ما يعبر عن الشعور بعظمة المعبود و شديد الحاجة إليه ولها أعظم تأثير فى تهذيب النفوس و السمو بها إلى الملكوت الأعلى ولذا أبان الله أثرها بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فلو أقامتها يهود حق إقامتها لارتدعوا عن ما يقومون به من صنوف المنكر ضد الاسلام و المسلمين خصوصاً إذا قرنوها بالزكاة المرققة للقلوب فالله

يرشدهم إلى فعل ما تصلح به أخلاقهم وترتفع به نفوسهم عن المطالب الخسيسة و المقاصد الدنيئة إلى المطالب العالية التى يوجبها عليهم فى وحيه المبارك من التوراة و القرآن .

و من انطبع بالتكبير الصادق شمخ برأسه إلى السماء قاصراً همته على حمل بضاعة السماء و ترفع عن المقاصد الأرضية المادية و لذا طلب الله منهم أن تكون صلاتهم جماعة قائلا سبحانه : « واركعوا مع الراكعين » يريد منهم أن يكونوا فى جماعة المسلمين يصلون معهم لما فى صلاة الجماعة من تظاهر النفوس عند مناجاة الله و إيجاد الألفة و التعارف و التكاتف بين المؤمنين إذ باجتماعهم يتدارسون مشاكلهم و يتشاورون فيما بينهم على مهمات الأمور ، و تعبيره سبحانه عن الصلاة بالركوع ليبعدهم عن صلاتهم المألوفة الخالية من الركوع .

فهو سبحانه و تعالى بعد ما أمرهم بالقيام بشكر نعمته العظيمة و الوفاء بعهده اللذين هما أصل الايمان أمرهم بالأعمال الصالحة مقتصراً على مهماتها من الصلاة التى هى من أعظم دعائم العقيدة و روافد الايمان والزكاة التى فيها تزكية للنفس و وقاية لها من شرور الشح وفيها مظهر من مظاهر شكر الله على نعمه و فيها نماء للمال و فيها صلة عظيمة بين الناس بالبذل المحبب بين النفوس فهى وشيجة إجتماعية عظيمة يحصل بها التكافل العام فى هذه الحياة فطلب الله منهم إيجاد هذه المقاصد الأربعة التى فيها جماع الخير ليتحولوا بتحقيقها عما هم عليه من سوء الطباع وخبث الطوية ولهذا أخذ يقرعهم و يوبخهم بعد هذه الوصايا بقوله سبحانه و تعالى : « أتأمرون الناس بالبر و تنسون أنفسكم و أنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون »

« يتبع »

الانسان الكامل كما يراه محمد إقبال

فضيلة الأستاذ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى

بحث عن إنسان :

قال مولانا جلال الدين الرومى فى بعض مقطوعاته : « رأيت البارحة شيخاً يدور حول المدينة ، وقد حمل مشعلا ، كأنه يبحث عن شئ ، قلت له : يا سيدى ! تبحث عن ماذا ؟ قال : قد مللت معاشرة السباع و الدواب ، و ضقت بها ذرعاً ، و خرجت أبحث عن إنسان فى هذا العالم ، لقد ضاق صدرى من هؤلاء الكسالى و الأقزام ، الذين أجدهم حولى ، فخرجت أبحث عن عملاق من الرجال و بطل من الأبطال ، يملأ عينى برجولته و شخصيته وبروح نفسى ، قلت له : لقد غرتك نفسك يا هذا ! فخرجت تقتنص العنقاء ، بالله ! لا تتعب نفسك ، و ارجع أدراجك ، فقد أجهدت نفسى ، وأنضيت ركابى ، و نقبت فى البلاد ، فلم أر لهذا الكائن عيناً و لا أثراً ، قال الشيخ : إليك عنى ، أيها الرجل ! فأحب شئ إلى نفسى ، أعزه وجوداً ، وأبعده منالا »

بهذه المقطوعة الشعرية افتتح الدكتور محمد إقبال كتابه الخالد « أسرار خودى » و لا أظن أن محمد إقبال اختار هذه المقطوعة ، و حلى بها صدر كتابه إلا لأنها تصور نفسيته ، و تعبر عن شعوره ، فقد كان بحكم دراسته الفلسفية من كبار الرواد الباحثين عن « الانسان الكامل » ، فهل وجد محمد إقبال ضالته ، يا ترى ؟ و ظفر بمطلوبه أم قطع من الرجاء ؟

وإذا كان الجواب : نعم لقد وجد محمد إقبال ضالته من الناس ، وظفر بوطره من الرجال ، فتأكدوا أنه فتح أعظم من فتح « كلمبس » ، واكتشاف أجل خطراً وأعظم قدراً من اكتشاف العالم الجديد ، لأنه اكتشاف الانسان المفقود . وعثور على الانسانية الضائعة ، ولا خير فى العالم - قديمه وجديده - إذا فقد الانسان و ضاعت الانسانية ، و حاجة العالم إلى إنسان أشد اليوم من حاجته إلى القارات الجديدة و البحار المجهولة .

المسلم هو الانسان الكامل :

إن محمد إقبال يحدثنا فى شعره بأنه وجد هذا الانسان المنشود ، و عرفه و اتصل به ، و نراه قد هام به هياماً ، و تغنى فى شعره بانسانيته وشخصيته ، فأين وجده محمد إقبال ، وكيف السبيل إلى هذا الانسان الرفيع ؟

أخاف أن أفاجئكم بما لا تقدرونه و لا تنتظرونه إذا أخبرتكم أن الانسان الكامل الذى وجده محمد إقبال ، فوجد فيه ما كان ينشده ، من معانى الانسانية و القوة و الحياة والجمال والكمال ، هو (المسلم) لا أقل ولا أكثر .

إن هذا الجواب مفاجأة حقاً للذين يحملون للمسلم صورة قاتمة هزيلة لا تتفق أبداً مع هذا التصوير الرائع ، الذى قدمه الشاعر ، للانسان الكامل ، و لكن محمد إقبال بالعكس من ذلك يرى فى المسلم الضالة المنشودة و الصورة الكاملة للانسانية .

المسلم المثالى :

و لكنه يعنى ذلك المسلم المثالى ، الذى يمتاز ، بين أهل الشك والظن ، بايمانه و يقينه ، و بين أهل الجبن و الخوف ، بشجاعته و قوته الروحية ، و بين عباد الرجال و الأموال و الأصنام و الملوك بتوحيده الخالص ، وبين

عباد الأوطان و الألوان و الشعوب بآفاقياته وإنسانيته ، وبين عباد الشهوات و الأهواء و المنافع بتجرده من الشهوات و تمرده على موازين المجتمع الزائفة و قيم الأشياء الحقيرة ، و بين أهل الأثرة و الأنانية بزهده و إيثاره و كبر نفسه ، ويعيش برسالته ولرسالته ، ذلك المسلم الحق الذى مهما اختلفت الأوضاع و تطورت الحياة لا يزال الحقيقة الثابتة التى لا تتغير و لا تتحول ، و أما ما عداه فزبد يذهب جفاء ، ذلك المسلم هو كالشجرة الطيبة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، أما ما عداه فشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ، يقول فى بيت : « إنك أيها المسلم فى العالم وحدك ، وما عداك سراب خادع و درهم زائف » و يقول فى بيت آخر : « إن إيمان المسلم هو نقطة دائرة الحق ، و كل ما عداه فى هذا العالم المادى وهم و طلسم و مجاز » .

المسلم له وجودان :

إن المسلم له وجودان ، الوجود الانسانى ، والوجود الايمانى أما الوجود الانسانى : فهو الوجود الذى يشاركه فيه كل إنسان ، يولد كعامة الناس وينشأ و يكبر كعامة الناس ، و يجوع و يظمأ ، و يشعر بالبرد و الحر ، و يأكل و يشرب ، و يصح و يمرض ، و يموت و يحيا ، و يفقر و يغنى ، ويزرع و يتجر . و يعول العيال و يربى الأطفال ، و يقتنى الأموال ، ويحكم البلاد و الرجال ، فهو فى هذا الوجود خاضع للسنن الطبيعية ، تجرى عليه كما تجرى على غيره ، و تنفذ فيه كما تنفذ فى أى إنسان آخر ، وتقسو عليه كما تقسو على غيره ، و لا تتسامح معه لأنه يحمل اسماً خاصاً ، وينتمى إلى جنس خاص ، و يلبس لباساً خاصاً و هو ذرة حقيرة فى صحراء الوجود المترامية ، و موجة عادية تأتى و تذهب فى بحر الكون الزاخر ، من غير أن يشعر بها أحد ،

فاذا اقتصر المسلم على هذا الوجود البشرى العام و عاش كانسان لا أقل و لا أكثر ، كان كائناً ضعيفاً فانياً ليست له قيمة كبيرة فى نظر صير فى الوجود ، و إذا مات فى وقته ما بكت عليه السماء و الأرض و ما خسر فيه العالم شيئاً كبيراً .

أما الوجود الايمانى فهو أنه يحمل رسالة خاصة ، رسالة الأنبياء والمرسلين ، و يؤمن بمبادىء خاصة ، و يعتقد اعتقاداً خاصاً ، ويعيش لغاية خاصة ، فهو من هذه الناحية سر من أسرار الحق ، و دعامة من دعائم العالم ، و حاجة من حاجات البشرية ، يستحق أن يعيش ، و يستحق أن ينتصر ، و يستحق أن يزدهر ، بل يجب أن يعيش ويجب أن يزدهر ، ويدوم مع البشرية و مع هذا الكون ، فحاجة البشرية ، و حاجة الكون إليه ليست أقل من حاجتهما إلى الماء و الهواء و النور و الحرارة ، فاذا كانت أشكال الحياة مرتبطة بالماء و الهواء و النور و الحرارة ، كانت معانى الحياة و حقائقها مرتبطة بالغايات والأرواح والايمان والأخلاق ، التى تتكفل رسالات الأنبياء بشرحها وبيانها ، و يتكفل المسلم باعلانها ، و القيام بها و الجهاد فى سبيلها ، فلولا هو لضاعت هذه الغايات و الرسالات و أصبحت سراً مكتوماً ، إذن فمركزه فى العالم ، و بقاؤه كبقاء الشمس و الكواكب النيرة ، تنقرض الأجيال و الأمم وتحول الأنهار مجراها ، و تخرب عمائر وتعمر خرائب ، و تقوم حكومات ، وتتقلص حكومات ، و تأتى مدنيات وتذهب مدنيات ، وهو قائم لا يزول ولا يحول .

المسلم حى خالد :

يعتقد محمد إقبال أن المسلم حى خالد ، لأنه يحمل رسالة خالدة ، ويحتضن أمانة خالدة ، و يعيش لغاية خالدة يقول فى بيت : « لا يمكن أن ينقرض

المسلم من العـــالم ، لأن وجوده رمز لرسالات الأنبياء ، و إن أذانه إعلان للحقيقة التى جاء بها إبراهيم و موسى و عيسى و محمد ﷺ » ويقول فى بيت آخر : « المسلم رسالة الله الأخيرة ، فلا يعتريها النسخ و التبديل » ولا يعنى محمد إقبال أن كل فرد من أفراد الأمة الاسلامية حى خالد ، يفلت من الموت ، و يتمرد على القانون الطبيعى ، كيف ، و قد قال الله تعـالى : « و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » و قال : « أفإن مت فهم الخالدون » ولكن محمد إقبال يرى أن المسلم موج من أمواج بحر الاسلام الخضم ، يأتى موج و يذهب موج ، و تترامى الأمواج فى أحضان البحر و تتلاشى فى وجوده ، و البحر لا يتغير ، فالبحر امتـــداد دائم ، و تسلسل قائم لأجزاء متغيرة ، كبحر الحياة و بحر الوجود تتبدل أمواجه — وهى أفراد البشر — و لا يتبدل كيانه .

خلق العالم للمسلم :

و يتقدم محمد إقبال خطوة أخرى ، فيعتقد أن المسلم هو غاية هـذا الكون ، خلق العالم له و خلق هو لله ، لقد كان العلماء يتباحثون فى صحـة حديث « لولاك لما خلقت الأفلاك » ، و لكن محمد إقبال لا تهمه صحة هذا الحديث لفظاً و رواية ، أنه يفهم من القرآن ، ومن دراسة الاسلام وطبيعة المسلم ، و رسالته السامية ، ويفهم من دراسة التاريخ الانسانى الواسعة العميقة ، و الاطلاع الواسع على أوضاع العالم و طبائع الأشياء ، أن المسلم الذى هو جارحة لرسول الله ﷺ و خادمه ، هو مصداق معنى الحـديث ، فضلا عن الرسول عليه الصلاة و التسليم ، فهو خليفة الله فى أرضه ، خلق لأجله العالم ، و علمه الأسماء ، و حكمه فى الأرض ، و أورثه خيراتها و خزائنها ، و ألقى

إليه بمقاليدها : فيجب عليه أن يعتقد ، و يقتنع بأن العالم خلق له ، و يجاهد و يجتهد لتطبيق هذه العقيدة ، و تحقيق هذه الفكرة ، يقول فى بيت : « إن العالم تراث للمؤمن المجاهد ، لا يشاركه فيه أحد ، و لا أعد مؤمناً كاملا من لا يعتقد أن العالم خلق له .

مقام المسلم مقام الامامة و التوجيه :

و يعتقد محمد إقبال أن المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار ، وليساير الركب البشرى حيث اتجه وسار ، بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية ، ويفرض على البشرية اتجاهه ، و يملى عليها إرادته ، لأنه صاحب الرسالة وصاحب العلم و اليقين ، و لأنه المسؤول عن هذا العالم و سيره و اتجاهاته ، فليس مقامه مقام التقليد و الاتباع ، إن مقامه مقام الامامة و القيادة ، و مقام الارشاد والتوجيه ، ومقام الآمر والناهى ، إذا تنكر له الزمان وعصاه المجتمع وانحرف عن الجادة ، لم يكن أن يستسلم و يخضع ، و يضع أوزاره ، و يسالم الدهر ، بل عليه أن يثور عليه و ينازله ، و يظل فى صراع معـــه و عراك ، حتى يقضى الله فى أمره ، يقول فى بيت : « يقول من لا خلاق له : در مع الدهر حيث دار و إذا لم يسالمك الزمان فسالمه ، و أنا أقول إذا لم يسالمك الزمان ، فصارعه و حاربه ، حتى يفىء إلى أمر الله » و يرى أن المؤمن غير مأذون بمجارات الأوضاع ، بل هو مكلف بمصادمة الأوضاع الفاسدة يرد الأمر إلى نصابه ، و يقيم سالفة الدهر الغشوم ، و يقيم العوج و يصلح الفـــاسد ، و إن كلفه ذلك عملية الهدم و النقض ، والعملية الجراحية ، فان كل ذلك فى سبيل البنـــاء و العمارة و الاصلاح ، يقول فى بيت : على المسلم أن يربى فى نفسه الروح ، و ينشئ فى هيكله الحياة ، ثم يحرق هذا العالم الفاسد بحرارة ،

إيمانه و وهج حياته ، و ينشئ عالماً جديداً ، يقول متمثلا : « سألنى ربى : هل ناسبك هذا العصر وانسجم مع عقيدتك و رسالتك ؟ قلت : لا يا ربى ، قال : فخطمه و لا تبال » .

ويرى محمد إقبال أن الخضوع والاستكانة للأحوال القاسرة ، والأوضاع القاهرة ، و الاعتذار بالقضاء والقدر من شأن الضعفاء و الأقزام ، يقول فى بيت : « المسلم الضعيف يعتذر دائماً بالقضاء و القدر ، أما المؤمن القوى فهو بنفسه قضاء الله الغالب و قدره الذى لا يرد » . و يقول : « إذا أحسن المؤمن تربية شخصيته ، و عرف قيمة نفسه ، لم يقع فى العالم إلا ما يرضاه و يحبه » .

المسلم رائد الانقلاب و رسول الحياة :

و يرى محمد إقبال أن المسلم هو مصدر الانقلاب الصالح فى التاريخ و مطلع فجر السعادة فى العالم ، و إنه لم يزل و لا يزال رائد الانقلاب و رسول الحياة . و مؤذن الفجر فى الليل البهيم ، وإن أذانه لا يزال صيحة تدوى فى هدوء الليل وسكون الموت ، فيعيد إلى هذا العالم النائم الناعس المتعب حياته و نشاطه ، و يؤذن بطلوع الصبح الصادق ، و انصرام الليل الغاسق . و على هذا الأذان الصارخ والنداء العالى ، الذى ارتفع من جبل « أبوقبيس » قبل ثلاثة عشر قرناً ، استيقظ هذا الكون بعد السبات العميق ، الذى غط فيه خمسة قرون و أكثر ، و كان نفخة صور للانسانية الميتة و العالم المحتضر ، و هو الكفيل الآن لايقاظ الانسانية ، و إحياء الضمير البشرى ، يقول فى بيت : « إن المؤمن إذا نادى الآفاق بأذانه ، أشرق العالم واستيقظ الكون » ، و يقول فى قصيدة : « لست أعلم بالتأكيد مصدر هذا الضبح ، الذى يطلع

على هذا العالم كل يوم ، و لست أعلم سره ، و لكنى أعلم أن السحر الذى يهتز له هذا العالم المظلم و يولى به ليل الانسانية الحالك ، إنما ينشأ بأذان المؤمن الصادق » .

قوة المؤمن مستمدة من رسالته :

و يعتقد محمد إقبال بحق أن قوة المؤمن الخارقة للعادة ، المحيرة للعقول المعجزة للبشر ، مستمدة من رسالته و إيمانه ، و باندماجه و اضمحلاله فى إرادة الله ، هنالك يتحول جارحة للقدرة الالهية ، و قوة قاهرة ، لاتصدها الجبال ، و لا تقف فى سبيلها البحار ، يقول فى قصيدة ، أنشأها فى قرطبة : « إن يد المؤمن جارحة القدرة الالهية ، فهى غلابة ، حلالة للعقد والمشكلات ، فتاحة للأبواب المقفلة ، لبقة صناع حاذقة ، إن المؤمن جسمه من تراب و فطرته من نور ، عبد متخلق بأخلاق مولاه ، قلبه غنى عن العالمين » . و يقول على لسان القائد الاسلامى الكبير طارق بن زياد فاتح الأندلس ، وهو يدعو لأصحابه العرب بالنصر ويناجى ربه ، يقول : « إن الغزاة المجاهدين عبيدك الغامضون ، الذين لا يعرفهم غيرك ، وقد أصبحوا اليوم يطمحون إلى فتح العالم واخضاعه ، إذا ركلوا برجلهم الصحراء انشقت ، وإذا ركلوا برجلهم البحر انفلق ، انكمشت الجبال و تقبضت بمهابتهم ، إنهم عرفوك و أحبوك ، فزهدوا فى العالم ، و استغنوا عن الدنيا ، لا يطلبون إلا الشهادة فى سبيلك و لا يهدفون بجهادهم إلى الفتح و الغنائم ، لقد أفردت رعاة الابل بنعمتك ، و ميزتهم بين أقرانهم فى الخير و النظر ، وأذان السحر ، لم يزل العالم يعوزه لوعة القلب ، و التوجه للانسانية المظلومة ، و فى قلوب هؤلاء الجريحة و فى أكبادهم المتقدة وجد العالم مآربه » . بل إن الشاعر يتقدم خطوة ، ويقول :

« ما ظنك بقوة ساعد المؤمن ! و هو بنظرته يقلب الأوضاع ، وبدعوته يرد القضاء » و المطلع على التاريخ يصدق ما قاله محمد إقبال ، فقد هزىء المسلمون المؤمنون فى عصرهم الأول من الجبال والبحار ، وشقوا طريقهم غير محتفلين ، بما تعترضهم من أشواك و عقبات ، و قصص سعد بن أبى وقاص و خالد بن الوليد و المثنى بن حارثة الشيبانى و عقبة بن نافع و محمد بن القاسم الثقفى و موسى بن نصير و طارق بن زياد شاهدة ، على صدق ما قاله محمد إقبال .

المسلم لا ينحصر فى الأوطان و الشعوب :

و يرى محمد إقبال أن المسلم حقيقة عالمية لا تنحصر بين حدود الجنسية و الوطنية الضيقة ، بل تتخطى حدود المكان و الزمان ، و تفيض كالطبيعة البشرية ، وكالانسانية العامة ، فى مساحة زمانية شاسعة ، كمساحة التاريخ الاسلامى ، و فى مساحة مكانية واسعة كمساحة العالم الاسلامى . يقول فى قصيدة قرطبة : « إن المسلم لا تعرف أرضه الحدود ، ولا يعرف أفقه الثغور ، ليست دجلة والنيل و دانوب إلا أمواجاً صغيرة فى بحره المتلاطم ، عصوره عجيبة و أخباره غريبة ، نسخ العهد العتيق و غير مجرى التاريخ ، هو فى كل عصر ساقى أهل الذوق ، و فى كل مكان فارس ميدان الشوق ، شرابه رحيق دائماً ، و سيفه ماض فى كل معركة » و يعتقد محمد إقبال إن العالم كله وطن للمسلم ، يقول فى بيت : « المسلم الربانى ليس بشرقى و لا غربى ، ليس وطنى دهلى ولا أصفهان و لا سمرقند ، إنما وطنى العالم كله » و يعتقد محمد إقبال أن المسلم يعتبر كل ملك الله وطناً له ، يقول : « لما نزل طارق بالجزيرة الخضراء ، أمر بالسفن فأحرقت ، فجاءه رجال من الجيش ، ولاموه على فعله ، و قالوا له : « لقد قطعت بنا الحبال ، فكيف نرجع إلى بلادنا . فوضع طارق يده على السيف ،

و قال : انا لا أفكر فى الرجوع و سنبقى هنا ، و نتخذه وطناً ، فان كل ما كان لله من أرض وبلاد ، وطن لنا ، لافرق فى ذلك بين العجم والعرب ، و الشرق و الغرب » .

المسلم متخلق بأخلاق الله :

ويعتقد محمد إقبال أن المسلم يجمع بين المتناقضات من الأخلاق والصفات ، و ما هى بمتناقضات ، و لكنها ظلال صفات الله ، و مظاهر أخلاق الله ، فهو فى تسامحه ، و رحابة صدره ، و كثرة صفحه قد تخلق بخلق « الغفار » و فى شدته فى الدين ، و غضبه للحق ، و ثورته على الباطل قد تخلق بخلق « القهار » ، و هو فى نزاهته ، و عفته ، و طهارة ضميره قد تخلق بخلق « القدوس » ، و فى صلابته إذا تصلب ، و شدة شكيمته إذا أبى ، و شدة بطشه إذا حارب تخلق بخلق « الجبار » ، و لا يكون المثل الكامل لدينه ، و صورة صادقة للاسلام ، حتى يجمع بين هذه الأخلاق المتنوعة ، فيجمع بين الشدة و اللين ، و الغضب و الرحمة ، والصلابة والمرونة ، والعفة والنزاهة ، و يكون فى ذلك آية من آيات الله ، و معجزة من معجزات الرسول ، ثم يقول الشاعر : « إن المؤمن هو الميزان العادل ، و القسطاس المستقيم به يعلم رضا الله و سخطه ، و به يعرف الحسن من القبيح ، فما راق فى نظره ، فهو حسن ، و ما استقبحه فهو طائش : و فى عزائمه تتجلى إرادة الله ، و هو القرآن الناطق ، و هو الدين يسعى على قدميه ، ثم إن حياته متوافقة متشابهة كالطبيعة ، فالصبح يطلع كل يوم ، والليل يتبع النهار ، لاتخلف فيه ولاتناقض ، وهو صاحب معان كثيرة ، و نغمة واحدة ، فهو كسورة الرحمن فى القرآن ، تتجدد معانيه وتتكرر فيه آية « فبأى آلاء ربكما تكذبان » وقد صدق الشاعر ،

فالمسلم لم يزل يتحف كل عصر بعلومه و توجيهاته ، و ينير ظلمات كل عصر بنوره وضيائه ، و يضرب على وتر واحد ، ويكرر رسالة الأنبياء ، ويقول لكل جيل : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » فهو كالصبح جديد و قديم ، فهو فى جدته ليس أجد منه ، وهو فى قدمه ليس شئ أقدم منه ، هو قديم لكنه يتجدد به العالم ، و تتجدد به الكائنات ، و تنتعش به القوى ، و تستيقظ به الأجسام و القلوب ، و العقول ، ثم جديد بنفسه ، تتجدد قواه و يتجدد نشاطه ، و تتفتح قريحته مع العصور ، علمه سيار ، و عقله مبتكر ، و نفسه طموح . و همته وثابة ، و هو كالمطر كل قطرة غير الأولى . ولكنها قطرات مطر ، كلها تحيى الأرض ، و كلها تنبت النبات ، وكلها تسقى المزارع و الأشجار ، و كلها تفتح الأزهار ، و كلها تكون الأنهار ، و هو معنى قول النبى ﷺ « أمتى كالمطر لا يدرى أ أوله خير أم آخره » .

المسلم كالشمس لا تغرب مطلقاً :

و يقول محمد إقبال : « إن المسلم كالشمس إذا غربت فى جهة ، طلعت فى جهة أخرى فلا تزال طالعة » . و قد صدق ، فان الاسلام لم ينكب فى ناحية من نواحى العالم ، و لم يخسر فى جانب ، دولة إلا وقامت له دولة فى جانب آخر ، و لم تسقط له راية إلا و خفقت له راية أخرى ، و لم يغب له نجم ، إلا وطلع له نجم آخر ، لقد كانت خسارة الأندلس الاسلامية كارثة كبيرة ، و مصاباً عظيماً ، و لكن عوض الاسلام بها بدولة فتية من أعظم دول العالم ، هى دولة آل عثمان فى تركيا قامت فى نفس القارة الأوروبية ، وجثمت على صدر الدول ، والأمم التى انتزعت الأندلس الاسلامية ، وأجلت المسلمين من وطنهم العربى الاسلامى ، و كان سقوط غرناطة ، وأوج الدولة

العثمانية ، فى عهد سليمان القانونى ، حادثين فى عصر واحد ، و نكب العالم الاسلامى ، ونكبت بغداد بغارة التتار ، وانطمست معالم الحضارة الاسلامية . و زلزل المسلمون زلزالا شديداً ، و لكن فى نفس هذه الفترة كانت الدولة المسلمة فى الهند تتسع و تزدهر ، و أصيب العالم الاسلامى بهزات عنيفة ، وقواصم مؤلمة فى فجر هذا القرن المسيحى على أيدى الأوروبيين ، فقد اقتسمت الدول الأوروبية تراث الدولة العثمانية كمال سائب ، و اغتصبت مملكتها فى أفريقيا ، و تقاسم الحلفاء سورية و فلسطين و العراق ، ولكن تبع هذا كله اليقظة الاسلامية الهائلة ، و الوعى السياسى القويم ، والطموح إلى الاستقلال و الحرية ، والحركات الاسلامية المختلفة التى كان يجيش بها العالم الاسلامى من أقصاه إلى أقصاه ، و نكب المسلمون فى العهد الأخير نكبات عظيمة فى الشرق الأقصى و الأوسط ، و خسرت الدول العربية فلسطين العربية الاسلامية ، و لكن فى نفس هذه الفترة قامت للمسلمين دولتان فتيتان فى الشرق ، إحداهما دولة باكستان و الأخرى إندونيسيا ، وهكذا لم يزل التاريخ الاسلامى متأرجحاً بين الأسفل و الأعلى ، فما تسفل منه جانب إلا و ترفع جانب آخر ، كالأرجوحة تماماً ، ولم تتوار شمسه فى أفق إلا و بزغت فى أفق آخر . و ذلك لأن الاسلام رسالة الله الأخيرة التى لا رسالة بعدها ، و المسلمون هم الأمة الأخيرة ، التى لا أمة بعدهم ، فاذا ضاعوا فقد ضاعت الرسالة ، وإذا هلكوا فقد غرقت السفينة التى تحمل الذخيرة .

❀❀❀❀

دور الاسلام فى صنع التاريخ

فضيلة الأستاذ محمد إبراهيم

روى ابن عساكر وغيره من المؤرخين أنه لما أخذت جيوش الروم تنهزم أمام المسلمين راع ذلك هرقل ، فأخذ يستصفى عقلاءهم ويختار كبراءهم ويقول لهم . ويلكم . . هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشراً مثلكم . . ؟ قالوا بلى ، قال أأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا بل نحن أكثر أضعافاً منهم فى كل موطن .. قال فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم . ؟ فوجم القوم و سكتوا و لم يجيروا جواباً ، و لكن شيخاً من عظمائهم تشجع و رفع رأسه و قال لهرقل :

« إنهم ينتصرون علينا من أجل أنهم يقومون الليل و يصومون النهار و يوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر ، ويتناصفون بينهم ، فرسان بالنهار رهبان بالليل ، لا يأكلون فى ذمتهم إلا بثمن » فتطاير قلب هرقل شعاعاً وأدرك بفطرته ، أن قوماً مثل هؤلاء لن يغلبوا و أن جحافل الروم لن تصمد ، و قال لئن كنت صدقتنى ليملكن موضع قدمى هاتين .

من الجميل حقاً أن يقرأ الانسان تاريخ أمتـــه العريق و يعيش لحظات عذاب مع المجد الحالم والعزة الوارفة الظلال التى أظلت يوماً شعبنا المسلم يوم كان الاسلام مهوى الأفئدة و برد القلوب ، و لكن نشوته هذه لا تلبث أن تتلاشى و كأنها سحابة صيف وأنات المسلمين تتردد من كل حدب وصوب .. فمن فدائى مطارد و لاجىء مشرد على حدود فلسطين .

إلى سجين معذب فى معتقلات أرتيرية . إلى مسلم هضمت حقوقه فى ربوع الفيليبين . .

و إلى أبشع حرب تبشيرية تشنها الصليبية العالميـــة الحاقدة على شعبنا فى إندونيسيا و بنغلاديش و فى أعماق أفريقية ،

و يتردد السؤال المؤلم لحساب من . . ؟ ولفائدة من . . ؟ وبيد من . . ؟ يطارد الاسلام و تكال له الضربات المتلاحقة الواحدة تلو الأخرى ، هل من الخير لهذه الأمة أن يهدم الاسلام و تمحى عقـائده فى النفوس . . و ما هى البدائل التى يتوخاهـا الاسلام ، هل استنفذ الدين جميع أغراضه . . هل عاد الاسلام مجرد عادات و طقوس لا تحرك ضميراً و لا وجداناً ، و لا تحمل المظلوم على إشراع السيف فى وجه الظالم ، و لا المستعمر على إشهار السلاح فى وجه مستعمره ؟

هل كان الاسلام أفيوناً خدر الملايين و أقنعها بالذل و صرفها عن أن تقول للظالم . . يا ظالم ؟

و الواضح الذى لا يقبل الجدل أن الاسلام لا يزال إلى اليوم و فى الثلث الأخير من القرن العشرين محركاً للطاقات لا ينضب ، و قوة دافقـة روحية ومعنوية ومادية تغوص فى أعماق الانسان المسلم فتميزه عن بقية البشر فى أنحاء المعمورة الأخرى ، و لن أدخل فى تفاصيل النبوة الأولى و غزواتها التى قادها النبى ﷺ ، ولن أدخل فى عصور الاسلام الزاهية يوم كانت الغلبة للاسلام و الكلمة العليا لرأية لا إله إلا الله .

و لكن دعنا ننظر إلى تاريخنا الحديث بموضوعية و هدوء و ترو منذ أن حل ببلادنا الاسلامية الاستعمار من حارب الاستعمار فى بلاد المسلمين ومن

أشهر السلاح فى وجـــه الغزاة و الطامعين ؟ من حارب الاستعمار الفرنسى فى المغرب العربى ..؟ أليس عبد الكريم الخطابى المسلم التقى .. ومن حارب الاستعمار الفرنسى فى الجزائر ..؟ أليس عبد القادر الجزائرى الشيخ الصوفى العالم الزاهد ومن كان المربى الأول والمرشد لطلائع جيش التحرير الجزائرى ..؟ أليس عبد الرحمن بن بادس العـالم المسلم العامل و من دك حصون المستعمرين الايطاليين فى ليبيا ..؟ أليس الشيخ المرابط عمر المختار ، و جحافل السنوسية فى الصحراء الليبية ..

و من حارب جيش التـــاج الانكليزى فى عنفوانه و أوج جبروته فى السودان والهند ..؟ أليس المهدى فى السودان، ومن حارب طلائع الاستعمار الهولندى فى إندونيسيا ..؟..

أليس حزب باشومى الاسلامى و من قاد ثورة عام ١٩٢٠ ضد الانكليز فى السودان أليسوا علماء الدين المجاهدين .

الاسلام عقيدة تشغل القلب و تملأ الوجـدان و تقنع العقل و تحرك الجوارح ، من اعتنقها ملكت عليه إحساساته و جوارحه و فجرت فيه طاقات القوة و ينابيع الخير والمحبة ، فان يكون المسلم مسلماً حقيقياً وهو يرى معاول الصليبية تحاول التشكيك فى أصل عقيدته ، وتجتذب الغفل من أبنائه ولا يخف لتحطيم هذه المعاول على رؤوس صانعيها .

الاسلام قوة مبدعة خلاقة تفجرت يوماً فى قلوب أبناء الصحراء فى نجد و الحجاز فعبرت الهند و السند ، و رفرفت أعلامهـــا فوق هضاب بورنيو و الملايو ، و رددت أناشيدها أمواج بحر الظلمـات ، و قد امتزجت هـذه العقيدة فى ديار المسلمين ، و تغلغلت فى أعماق نفوسهم و وجدانهم و صبغتهم

بصبغة الاسلام فى شؤون حياتهم و معاشهم و عبـادتهم و حربهم و سلمهم ، و كان كتاب الله لهم مرشداً و قائداً ، و كانوا له حماة و دعاة .

و قد وضعت هذه العقيدة مرات عديدة فى التاريخ أمام الاختبار وأمام التحدى فأثبتت أنها أكبر من أن تقتلع من قلوب هذه الأمة المؤمنة ، وأصلب من أن يكسر لها عود أو أن تلين لهـــا قناة .. جاءتها جحافل الصليبيين من الغرب .. قوافل جاهلة متعصبة ، فعششت على سواحل المتوسط فى أمارات مسيحية لم تستطع أن تجد لنفسها جذوراً فى تربة هذه الأرض و كان أمامها إختياران . إما أن تسلم و تعيش بسلام و إما أن ترحل من حيث أتت ، و قد منعت مسيحية الصليبيين دخولهم فى الاسلام فرحلوا ثم جاءتهـا جحافل المغول من الشرق .. قبائل جاهلة بربرية ، فحطمت و قتلت و أحرقت وبنت الأهرامات من رؤوس الرجال ، و لم يكن لديهـا من العقيدة و لا الحضارة ما يجعل لها الجذور فى هذه البلاد ، وقد كان أمامها إختياران .. إما الاسلام و تعيش بسلام و إما الرحيل .. و قـد أسلمت جحافل المغول و انضوت تحت لواء الاسلام و كان منهم فى الهند الملوك المسلمون العادلون و السلاطين العظام .

أما اليوم .. فان هذه العقيدة قد وضعت أمام تحد أعظم وتجربة أقسى ، تحد قامت و تقوم به الصليبية فى العالم أجمع متضافرة مع الصهيونية العالميـــة و الشيوعية الدولية ، لم يأت القوم فى جحافل جاهلة بربرية ، و إنما فى قوى عسكرية منظمة و فلسفات عميقة و ثقافات جذابة ، فلسفات بذر فى أحشائها عداؤها للدين بطبيعة تكوينها و نشأتها التاريخية ، و كستها العلوم التكنولوجية الحديثة هالات براقة و قوة وجبروت ، وأصابنا التحدى الجديد فى الصميم ..

قوة الصهيونية العسكرية أصابت من بلادنا القلب واستطاعت سلخ فلسطين أولى القبلتين و ثالث الحرمين ، و قوة الصليبية و الاستعمار الفكرية أصابت من فكرنا القلب ، إنها قلما حولت مسلماً عن دينه ، و لكنها زعزعت الايمان فى قلوب الكثيرين ، فمن لم ينقلب حرباً على الاسلام و رجاله وقف يتفرج على الاسلام يهدم و على رجاله يسامون العذاب و التشريد والهوان ، وكأن دار الاسلام ليست له بدار و رجال الاسلام ليسوا له جوار .

أما أعداؤنا فقد كان لهم تخطيطاً مختلفاً وتكتيكا معاكساً .. أرضع اليهود أبناءهم لبان اليهودية ، و علموهم أن فلسطين هى أرض آبائهم وأجدادهم وأن الله قد وعدهم أرض الميعاد ولقنوهم أن الطريق لأرض الميعاد هذه هو تقيدهم بتعاليم أنبياء بنى إسرائيل يقول بن غوريون فى إحـــدى خطبه بالكنيست الاسرائيلى أن هدفنا هو إنشاء جيل يملك أقصى ما وصلت إليه التكنولوجيا الحديثة ، وفى نفس الوقت مشبع بروح أنبياء بنى إسرائيل ، كما يقول وايزمان فى مذكراته : لقد قابلت اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا الذى بادر بسؤالى على الفور لماذا لم تقبلوا إقامة الوطن القومى فى أوغندا ..؟ فقلت لبلفور أن الصهيونية حركة سياسية قومية .. هذا صحيح و لكن الجانب الروحى فيهـا لا يمكن إغفاله ، و إنا واثق تمام الوثوق أننا إذا أغفلنا الجانب الروحى فاننا لن نستطيع تحقيق الحلم السياسى القومى .

لقد أدرك اليهود أنهم بالتوراة والتلمود يستطيعون الرجوع إلى أرض الميعاد، ولم يستحوا أن يجاهروا العالم بهذه الحقائق ، و بهذه الطريقة استطاعوا أن يغروا مئات الآلاف من سكان القارات الأربع بالهجرة إلى فلسطين ، لم يقولوا لهم إن فلسطين أرض الأنهار.. والبحيرات ، ولا أرض الثمار والجنات ، بل قالوا لهم

إنها أرض الميعاد والنبوات ، هذا ما كان يجرى فى غربى نهر الأردن ، أما ما كان يجرى فى شرقى النهر و شمالى و جنوبى النهر فصورة مختلفة تماماً .. فما زال الناس هنا مختلفون هل نضع فى دستورنا أن دين الدولة ، الاسلام أم لا .. هل الاسلام دين يصلح للحياة أم أن الزمن قد عفى عليه وأصبح من مخلفات الماضى السحيق ، هل نلغى كليات الشريعة فى جامعاتنا أم نبقيها ؟ ما هى أفضل الطـــرق لضرب طلائع الاسلام ..؟ و ما هى أيسر السبل لنهضتنا ..؟ أهى الديموقراطية أم الاشتراكية أم الفاشية أم الشيرعيـة ..؟ و انقسم الناس أحزاباً و تصارعت الأحزاب فرقاً ، و اضطهدت الفرق بعضها بعضاً أو ترأس الناس كلهم فرقة واحدة تسوى بالاضطهاد بين الناس جميعاً .

يقول أحد المفكرين أن العقيدة تهزم فى الحروب من لا عقيدة له . و أنا أقول أن باطل قوم اجتمعوا على باطلهـــم يهزم حق قوم تفرقوا عن حقهم . . فليت شعرى . . أما آن لهذه القلوب أن تستفيق . . أما آن لهذه الظلمة أن تنقشع . أن دروس التـاريخ جلية واضحة وقاسية فى الكثير من الأحيان . لقـــد أيدنا الدول الغربية . . و ديموقراطيتها فى أوائل هذا القرن فكان من نصيبنا إتفاقية سايكس بيكو و تداعى الناس علينا كما تداعى الأكلة إلى قصعتهـا . وأيدنا الدول الشرقيـة و إشتراكيتها فكان نصيبنـا أن يقطع عنا السلاح فى أحرج ساعات حرب رمضان ، و ملايين المهـاجرين من اليهود يتقاطرون إلى إسرائيل من مختلف أنحاء العالم الاشتراكى وغير الاشتراكى . واعتنقنا القومية و الاشتراكية والديموقراطية فقنعنا من الغنيمة والنصر أن نسترد أشباراً من أرضنا الضائعة و نعترف بشرعية اغتصاب فلسطين .

أهؤلاء أحفاد على و خالد و أبى عبيدة وصلاح الدين ؟ أهؤلاء ورثة

البيرونى وابن سينا . . كلا و ألف كلا . . أنها أزمة إنساننا العربى و المسلم المعاصر ، الانسان الذى فقد قيماً مجيدة كانت تحتل وجدانه و فكره ، و لم يستطع أن يعوضها ، لم تمس الشيوعية ولا الاشتراكية ولا الديموقراطية منه القلب و الشغاف ، أنها قيم بقيت طافية على سطح الفكر و لم ترسب فى أعماق الضمير ، فبقى إنساناً مائعاً مذبذباً لايعرف الأصالة و لا العمق يهوى عند أول هزة تعصف بكيانه الضعيف الهزيل . هذا عند الانسان المثقف .. أما عند عامة الناس و الجماهير الساحقة من الشعوب المسلمة ، فناهيك أنها لم تأخذ الأمر مأخذ الجد ، تنظر فى شك و ريبة إلى حكامها الذين استوردوا ما لم تستطع هضمه و لا تمثله ، و التبست عليها الشعارات ، و تعددت المذاهب و الفلسفات ، و علت و سقطت الحكومات ، كل ذلك فى جو من الارهاب الفكرى و الجسدى و العقائدى أفقد هذه الجماهير ثقتها بمفكريها و زعمائها ، و فى الكثير من الأحيان بنفسها .

ان تستثار هذه الجماهير قبل أن تشعر بكرامتها فى بلدها و حريتها فى أرضها و تزال عنها غوائل الفقر و الجوع والمرض ، و لن يهز هذه الجماهير و يفجر طاقاتها و يلهب فيها روح التضحية و الحماس و الفداء إلا أن تثار فيها الكنوز المخبوءة فى أعماق قلوبها من محبة لله و رسوله و جهاد فى سبيله . لقد تمسك اليهود بتوراتهم المزيفة و دفعوا العالم لتأييدهم فى اغتصاب أرض الميعاد ، و لن يطهر الأرض من رجسهم إلا قلوب تحترق للدفاع عن مسرى الرسول و ثانى القبلتين ، قلوب تجد أمنها و سلامها فى هدى القرآن و سنة نبيه ، قلوب تؤمن أنها إن أنفقت درهماً فى سبيل الله فالله يعوضها أمثالها ، و إن ذاقت فى سبيل الله ضراً فثواب الله خير و أبقى ، و إن ماتت على الحق فلله جنة عرضها السماوات و الأرض .

إن قيام إسرائيل فى قلب وطننا العربى المسلم هو أكبر شاهد على أن العقيدة الدينية إن تمكنت من القلب ، لم تقف فى وجهها أقزام الحركات العلمانية و الالحادية و الوضعية مهما تنوعت و تكاثرت و تشاخت ، و المجتمع اليهودى قائم على الدين ، ولولا الدين لما أمكن ، لمن سكن باريس أو لندن أو روما أو برلين أن يسكن فى جبال فلسطين بين وعورة أرضها و عداوة سكانها و من حولها .

والتحدى الذى يواجهه شعبنا وإسلامنا اليوم هو يوم سيكون له ما بعده . فليتق الله المسلمون فى دينهم ، ألا إن الحق بين .. والضلال بين ، فنحن قوم لاينقصنا العدد فنحن مئات الألوف والملايين ، ونحن قوم لا تنقصنا الأرض فليس أوسع من أرض المسلمين و لا أضخم منها ولا أجمل ولا أكبر ، ونحن قوم لا يعوزنا المال فلدينا الذهب بأنواعه سائلا و جامداً و بأشكاله أبيضاً و أسوداً ، و لا ينقصنا إلا الرجوع إلى ديننا و الانابة إلى ربنا و الاهتداء بقرآننا ، و السير وراء رسولنا و زعيمنا محمد ﷺ .

وعندها سوف يروى ابن عساكر وغير ابن عساكر أن ورثة هرقل ولويس التاسع وهولاكو ، لم يصمدوا أمام ورثة خالد و أبى عبيدة و صلاح الدين و الظاهر بيبرس ، و إن ورثة البيرونى و ابن سينا و الفارابى استطاعوا أن يتمثلوا أقصى ما وصلت إليه العلوم والتكنولوجيا الحديثة . وفى نفس الوقت بقوا مشبعين بروح الاسلام و مثله و تعاليمه .

قال الله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون » . « إن تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم » .

❁❁❁

الدّعوة الإسلاميّة

تحريم موالاة أعداء الاسلام

لصيانة القوى الاسلامية من التسرب إلى العدو

إعداد : الأستاذ عبد الرحيم صالح عبد الله

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى و عـدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة و قـد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون إليهم بالمودة و أنا أعلم بما أخفيتم و ما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ، إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم و ألسنتهم بالسوء و ودوا لو تكفرون ، لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير » (سورة الممتحنة الآيات ١ - ٢ - ٣) .

يذكر المفسرون و رواة الأحاديث أن سبب نزول هذه الآية الكريمة هو قصة حاطب بن أبي بلتعة ، وذلك أن حاطباً هذا كان رجلا من المهاجرين و كان من أهل بدر أيضاً ، و كان له بمكة أولاد و مال ، و لم يكن من قريش أنفسهم ، بل كان حليفاً لعثمان ، فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة لما نقض أهلها العهد فأمر النبي عليه السلام بالتجهز لغزوهم ، وقال : « اللهم عم عليهم خبرنا » فعمد حاطب هذا فكتب كتاباً وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه الرسول ﷺ من غزوهم ليتخذ بذلك عندهم يداً فأطلع الله تعالى على ذلك رسول الله ﷺ استجابة لدعائه عليه السلام ،

فبعث فى أثر المرأة ، فأخذ الكتاب منها ، وهذا ثابت فى الحديث المتفق على صحته ، فقال له رسول الله ﷺ : « ياحاطب ما هذا ؟ » قال لا تعجل على إنى كنت امرءاً ملصقاً فى قريش ، و لم أكن من أنفسهم ، و كان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة ، فاحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى ، و ما فعلت ذلك كفراً و لا ارتداداً عن دينى ، و لا رضا بالكفر بعد الاسلام ، فقال رسول الله ﷺ « إنه صدقكم » فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ « أنه قد شهد بدراً ، و ما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فانزل الله تعالى هذه الآيات .

براءة الله تعالى من كل مسلم يوالى الكفار :

قال الله تعالى : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين و من يفعل ذلك فليس من الله فى شئ إلا أن تتقوا منهم تقاة و يحذركم الله نفسه و إلى الله المصير » (سورة آل عمران الآية ٢٨) .

ينهى الله تعالى فى هذه الآية عباده المؤمنين نهياً جازما قاطعا عن أن يتخذوا الكافرين أولياء لهم و أن يستعينوا بهم و يلتجئوا إليهم وأن يصادقوهم و تكون بينهم و بينهم محبة فحرم الله تعالى على المؤمنين موالاة الكافرين بأى شكل من أشكال الموالاة ، و قد قرن الله تعالى هـذا النهى الجازم القاطع ببراءة الله تعالى من كل من يخالف نهى الله تعالى فى هذا الموضوع ، و قد استثنى الله تعالى من ذلك حالة واحدة و هى أنه فى حالة خوف المؤمنين من الكافرين عندما يكونون تحت سلطانهم فانه يجوز إظهار المحبة لهم و مصادقتهم

لدفع شرهم و أذاهم ، أى يجوز أن يتخذوا أولياء أى أصدقاء فى حالة وجود خوف منهم عندما يكونون تحت حكمهم و ما عدا ذلك لا يجوز مطلقاً .

ويقول الفقهاء والمفسرون إن الآية نزلت فى شأن المؤمنين الذين كانت لهم صلات بالمشركين فى مكة وتنهى جميع المؤمنين و تستثنى من ذلك المؤمنين الذين كانوا فى مكة فانهم كانوا مغلوبين على أمرهم فاستثنتهم لوجود حالة خوف لديهم من أذى الكفار .

و الحكم الشرعى الذى استنبطه الفقهاء من هذه الآية هو تحريم موالاة المؤمنين للكافرين بجميع أنواع الموالاة : من نصرة و صداقة واستعانة و غير ذلك ، لأن كلمة أولياء فى الآية جاءت عامـة فتشمل جميع معانيها ، و جواز موالاتهم فى حالة حـذرهم أى خوف بطشهم و أذاهم عند ما يكون الكفار غالبين على المسلمين و يكون المسلمون مغلوبين على أمرهم تماماً كحالة المسلمين فى مكة مع المشركين .

و التقية كما يقول المفسرون و الفقهاء والمجتهدون يجب أن تكون باظهار الولاية للكافرين باللسان ظاهراً ، وإضمار العداوة لهم فى الباطن وعدم مشايعتهم على ما هم عليه من كفر ، وأن يظاهروهم على المسلمين ، ويدلونهم على عوراتهم فانه من يفعل ذلك فليس من الله فى شئ يعنى بذلك فقـد برئ من الله و برئ الله منه .

و قد نبه الفقهاء اعتماداً على هذه الآية ، أن إظهار المحبة للمسلم المخالف لك فى الرأى وإبطان البغضاء له حرام ، والتظاهر بعدم التقيد بالاسلام أو عدم العناية به أمام الكافر ، و أمام الفاسق الظالم لا يجوز ، فان كل ذلك و ما شاكله نفاق قد حرمه الشرع على المسلمين ، إذ أن موضوع « إلا أن تتقوا

منهم تقاة » محصور فى واقعة حالة المسلمين الذين كانوا فى مكة بين المشركين أى محصور فى حالة وجود المسلمين تحت سلطان الكفار و لا قبل لهم بازالة سلطانهم ، أى مغلوبين على أمرهم ، فانه يجوز لهم موالاة الكفار حذراً مما يحذر منه عليهم سواء كان على نفوسهم أو أموالهم أو أعراضهم أو مصالحهم ، فى هذه الحالة فقط يجوز اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين فكل ما كان داخلا تحت هـذه الحالة يجوز للمسلمين أن يتخذوا الكافرين أولياء فى الظاهر لا فى الباطن ، و ما عداها فلا يجوز لا ظاهراً ولا باطناً .

موالاة الكافرين دلالة على النفاق والكفر :

قد بين الله سبحانه و تعالى فى آياته البينات الصفات الخبيثة التى يتصف بها الذين يوالون الكافرين و بشرهم بعذاب أليم ، فمن هذه الآيات قوله تعالى « بشر المنافقين بأن لهم عـذاباً أليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا ، و قد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا ، الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم و إن كان للكافرين نصيب قالوا : ألم نستحوذ عليكم و نمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة و ان يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (سورة النساء الآيات : ١٣٧ - ١٤١) .

لقد وصف الله تعالى المنافقين الذين بشرهم بعـذاب أليم بأنهم يتخذون الكفار أولياء من دون المؤمنين بمعنى أنهم معهم فى الحقيقة ، يوالونهم ويسرون إليهم بالمودة و يقولون لهم إذا خلوا بهم إنما نحن معكم إنما نحن مستهزؤن

أى بالمؤمنين فى إظهارنا لهم الموافقة ، قال تعالى منكراً عليهم فيما سلكوه من موالاة الكافرين « أيبتغون عندهم العزة » ثم أخبر تعالى بأن العزة كلها له وحده لا شريك له و لمن جعلها له ، كما قال تعالى فى آية أخرى : « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا » و قال تعالى : « و لله العزة و لرسوله وللمؤمنين و لكن المنافقين لا يعلمون » (سورة المنافقون آية ٨) و كذلك يخاطب الله المنافقين و يبين لهم بأنهم إذا ارتكبوا النهى بعد و صوله إليهم و رضوا بالجلوس معهم فى المكان الذى يكفر فيـه بآيات الله و يستهزأ بها و ينتقص منها و أقروهم على ذلك فقـد شاركوهم فى الذى هم فيه ، كما بين تعالى بأنه كما يشرك المنافقون الكافرين فى الكفر كذلك يشارك الله بينهم فى الخلود فى نار جهنم أبداً و يجمع بينهم فى دار العقوبة والنكال والقيود والأغلال و شراب الحميم والغسلين .

عدم موادة أعداء الله علامة الايمان الصحيح :

لقد جعل الله تعالى عدم موادة الذين يحادون الله ورسوله ولوكانوا أقرب المقربين ميزاناً دقيقاً للايمـان فى النفوس قال تعالى : « لا تجـد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله و رسوله و لو كانوا آبائهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب الله فى قلوبهم الايمـان و أيدهم بروح منـه و يدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم و رضوا عنـه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » (سورة المجادلة الآية ٢٣) .

يبين الله سبحانه و تعالى انه لا يمكن أن يجتمع فى قلب واحد ودين وداً لله ورسوله ووداً لأعداء الله و رسوله ، فاما إيمان ، أولا إيمان أما هما

فلا يجتمعان . « و لو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » فروابط الدم والقرابة هذه تنقطع عند حد الايمان إنها يمكن أن ترى إذا لم تكن هناك محادة ، و خصومة بين اللوائين : لواء الله ولواء الشيطان والصحبة بالمعروف للوالدين المشركين مأمور بها حين لا تكون هناك حرب بين حزب الله وحزب الشيطان . فأما إذا كانت المحادة والمشاقة والحرب والخصومة فقد تقطعت تلك الأواصر التى لا ترتبط بالعروة الواحدة و بالحبل الواحد ، وقيل فى قوله تعالى « و لو كانوا آباءهم » نزلت فى أبى عبيدة قتل أباه يوم بدر « أو أبناءهم » فى الصديق هم بقتل ابنه عبد الرحمن يومئذ ، « أو إخوانهم » فى مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ (أو عشيرتهم) فى عمر قتل قريباً له يومئذ أيضاً ، و فى حمزة وعلى و عبيدة بن الحارث قتلوا عتبة و شيبة والوليد بن عتبة يومئذ والله أعلم ، و هـذه الآية عامة تنطبق على المسلمين فى كل زمان و كل مكان .

و قد فعل المؤمنون يومئذ ما فعلوه متجردين من علائق الدم والقرابة إلى آصرة الدين والعقيدة و كان هذا أبلغ ما ارتقى إليه تصور الروابط والقيم فى ميزان الله ، و هـذه دلالة أكيدة جعلها الله موشراً واضحاً يشير إلى الايمان الذى كتبه الله فى قلوب المؤمنين إيماناً راسخاً لا زوال له ولا اندثار و لا انطماس فيه و لا غموض ، و بذلك فهم يستحقون أن يمدهم الله تعالى بالقوة و الاشراق من عنده و أن يدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها .

و قال تعالى أيضاً يأمر عباده المؤمنين بمباينة الكفار به ولو كانوا آباء أو أبناء و نهى عن موالاتهم إن استحبوا أى اختاروا الكفر على الايمان

و توعدهم على ذلك بقوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون » (سورة التوبة الآية ٢٣) .

تحريم موالاة اليهود والنصارى الخارجين عن ذمة الاسلام :

يأمر الاسلام بالتسامح مع أهل الكتاب الذميين - الداخلين فى ذمته - الخاضعين لحكمه فى المجتمع الاسلامى ويحض على رعايتهم والقسط معهم فالمسلمون مكلفون بأن يحسنوا معاملة الذميين ، و أن يكفلوا لهم الحماية والعدل لأن المسلمين فى هـذا الموقف يؤدون تكليفاً أمرهم به دينهم ، و لا يتزلفون أو يتملقون أو يعتزون بقوة غير قوة الله ، أو بولاء غير ولائهم له تعالى : ولأن هؤلاء الذميين من ناحية أخرى أعضاء فى المجتمع الاسلامى ، خاضعون لحكمه العام ، و ليسوا دولة أو جبهة خارجة على الاسلام ، فأما حين تكون دولة أو جبهة فالمسلمون منهيون أن يوالوهم ، منهيون أن يأمنوهم على مصالحهم منهيون عن أن يفضوا إليهم بأسرارهم ، و على وجه أخص منهيون عن أن يطلبوا منهم عوناً ، لأن المسألة هنا العقيدة برمتها ، و مسألة الجهة التى يطلب منها المسلم العون و يبتغى عندها العزة ، و نصوص الآيات القرآنية صريحة فى أن من يوالى اليهود والنصارى فهو منهم و كذلك من يوالى المشركين فهو منهم ، و أن الولاء يجب أن يكون لله ولرسوله و للمؤمنين ، الذين يقومون بفرائض الله و شرائعه و أن من يطلب ولاء اليهود والنصارى والكفار فهو المغلوب لله تعالى والمقهور بعذاب الله تعالى ، والسائر فى طريق الضلال .

يقول تعالى فى تحريم موالاة اليهود والنصارى ، « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض و من يتولهم منكم فانه

منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين ، فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم ، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين ، ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين » (سورة المائدة الآيات ٥١ - ٥٣) .

هذه الآيات التى نزلت لتعالج حالة قبل أربعة عشر قرنا إنما نزلت لتعالج كل حالة مشابهة لها إلى قيام الساعة ، وهى ما تزال - كسائر آيات القرآن - كأنما تنزل هذه اللحظة على الأمة الاسلامية فى مشارق الأرض و مغاربها لتردها إلى الصواب و لتبين لها جهة الولاء الوحيدة التى تجدها عندها العزة والمنعة ولتحذر ما هى سادرة فيه من موالاة أعدائها فى الأرض ومن اعتمادها على هؤلاء الأعداء فى استرداد حقوقها المسلوبة التى ما سلبت إلا يوم توجهت الأمة الاسلامية بولائها لغير الله ، و لذلك ينهى الله تعالى عباده المؤمنين نهياً مطلقاً عن الولاء لليهود والنصارى و عن الاستنضار بهم والركون إليهم والثقة بودتهم ، والاعتقاد فى قدرتهم على إيصال خير للمسلمين أو دفع أذى عنهم ، « بعضهم أولياء بعض » فهم و إن اختلفوا فيما بينهم ، أمة واحدة و منهاج واحد ، منهاج الخروج على شريعة الله ، و اتباع الهوى والرأى بغير مقياس ثابت يعصم من الزلل و يرد إلى الصواب ، ثم هم حرب على المسلمين يتعاونون فيما بينهم حتى يواجهوا المسلمين بالعداء . . و هذا مشاهد فى كل عصر من عصور التاريخ منذ بزوغ شمس الاسلام إلى قيام الساعة .

و يبين الله تعالى أن من يتولهم من المسلمين فانه منهم يشاركهم منهجهم و يبتعد عن الله بعدهم . . ثم إنها العقيدة : إما أن تتوجه إلى الله خالصة فهو

الايمان و الاسلام و إما أن تتوزع بين الله و الناس فهو الشرك إذن فى صورة من صوره الكثيرة ، والذين يتجهون بولائهم لغير الله يظلمون أنفسهم و يظلمون الحق و يظلمون الناس فهم ظالمون بكل ما تحمله كلمة ظلم من معنى فلا يستحقون من الله الهداية والخلاص من الشر من شرور أنفسهم و شرور أعداء الله الذين يوالونهم و لا يريدون لهم إلا الشر .

تحريم موالاة كل من يهزأ بالاسلام أو بتعاليمه :

قال تعالى فى تحريم موالاة كل من يستهزئ بالاسلام أو بأى فرض من فروض الاسلام أو بأى تعليم من تعاليم الاسلام « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين . و إذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » (سورة المائدة الآيات ٥٧-٥٨) .

هذا تحريم من الله تعالى لموالاة أعداء الاسلام و أهله الكتابيين والمشركين الذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون وهى شرائع الاسلام المطهرة المحكمة المشتملة على كل خير دنيوى و أخروى يتخذونها هزواً يستهزؤون بها و لعباً يعتقدون أنها من اللعب فى نظرهم الفاسد و فكرهم السخيف و فهمهم السقيم ، فالله تعالى يحرم على المؤمنين موالاة كل جنس من البشر يهزأ بالاسلام أو يعتقد أن الاسلام لا يصلح للحياة أو يستهزئ بأى تعليم من تعاليم الاسلام أو يظن أنه لا يصلح لحياة البشر فى كل زمان و مكان لأن الكفر بأية آية من آيات القرآن الكريم كالكفر بالقرآن جميعه ففى قوله تعالى : « من الذين أتوا الكتاب من قبلكم والكفار » الحرف « من » هو لبيان الجنس ، و ذلك كقوله تعالى : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان » و يقول تعالى :

« واتقوا الله إن كنتم مؤمنين » أى اتقوا الله أن تتخذوا هؤلاء الأعداء لكم و لدينكم أولياء إن كنتم مؤمنين بشرع الله الذى اتخذه هؤلاء هزواً و لعباً .

خير المسلمين الكامن فى عدم موالاتهم للكافرين .

إن الله سبحانه و تعالى قد أرسل رسوله محمداً ﷺ للناس كافة ، رحمة للعالمين ، ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، ليهديهم إلى الصراط المستقيم ، عن طرق بيان الخير لهم من الشر ، فيتبعون الخير فيكون فى ذلك سعادتهم فى دنياهم و أخراهم ، فمن هداه الله إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين و الشهداء والصالحين فقد وفق للاسلام وفاز فى دنياه و أخراه فوزاً عظيما ، فهو سبحانه و تعالى الرحيم بعباده قد أمر عباده المسلمين بأن يسلكوا كل مسلك يؤدى إلى الخير و السعادة فى الدنيا و الآخرة و يتمسكوا به ، و أن يجتنبوا كل ما يؤدى إلى الشقاء فى الدنيا والآخرة ، ونهاهم عن السير فى طريقه ، فما أراده الله سبحانه و تعالى لعباده هو الرحمة و السعادة فى الدنيا و الآخرة عن طريق اتباع أوامره واجتناب نواهيه .

و قد نهى الله تعالى عباده المؤمنين عن موالاة الكافرين و كل من لا يحترم أى تعليم من تعاليم الاسلام لما يعلمه العليم الخبير الذى لا يند عن علمه مثقال ذرة فى السماوات و لا فى الأرض و يعلم ما تبديه النفوس و ما تخفيه فهو يعلم السر و أخفى ، و قد كشف سبحانه و تعالى عما تخفيه نفوس أعداء المسلمين و ما تكنه من بغضاء و كراهية للمسلمين ، و بين سبحانه و تعالى أن أعداء الاسلام لا يفترون عن الكيد للاسلام و للمسلمين و كشف عن أن ما يطمح إليه أعداء الاسلام ويحرصون على تحقيقه هو القضاء على الاسلام

و المسلمين وهم يبذلون أقصى ما عندهم من جهود و بمختلف الوسائل لابعاد المسلمين عن دينهم وتنفير غير المسلمين عن الاسلام ، و بين سبحانه و تعالى أنه لو قدر أعداء الاسلام على المسلمين لما اتقوا فيهم أذى ينالونه بالمقال و الفعال ، يقول تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم » (سورة آل عمران الآيات ١١٨ - ١٢٠) .

فالله سبحانه و تعالى فى هذه الآيات البينات ينهى عباده المؤمنين عن اتخاذ غير المؤمنين بطانة أى خاصة يطلعونهم على دخائل أمورهم و يستشيرونهم فى أمور حياتهم ، و عن أنس أنه روى عن النبى ﷺ أنه قال : « لا تستضيئوا بنار المشركين » فسر الحسن البصرى هذا الحديث بقوله : « لا تستشيروا المشركين فى أموركم » .

و قد نهى الله سبحانه و تعالى المؤمنين عن ذلك لأن أعداء الاسلام لا يريدون للمؤمنين إلا الاضطراب والخبال و يسعون دائماً فى مخالفة المؤمنين و ما يؤذيهم ويضرهم بكل ممكن و ما يستطيعون من المكر والخديعة ويودون أى يريدون ما يعنت المؤمنين و يحرجهم و يشق عليهم .

كما بين سبحانه و تعالى أن ما يلوح على صفحات وجوه أعداء الاسلام والمسلمين وفلتات ألسنتهم من العداوة ، لدليل على ما يشتملون عليه فى صدورهم من البغضاء للاسلام و لأهله ، مالا يخفى مثله على لبيب عاقل ، و قال تعالى مشيراً إلى هذه الدلالة الواضحة بقوله تعالى : « قد بدت البغضاء من أفواههم و ما تخفى صدورهم أكبر »

و لا يخفى على كل مسلم عاقل أن أعداء الاسلام والمسلمين يشنون فى هذه الأيام حرباً صليبية ضروسا على الأمة الاسلامية على جميع المستويات السياسية و العسكرية والثقافية والاجتماعية تهدف إلى طمس معالم الاسلام فى كل مكان يوجد فيه ، والدلالة الواضحة على ذلك فلتات ألسنة أعداء الاسلام وتصريحاتهم المتعددة التى تقطر حقداً وعداوة للاسلام ولأهله ، فى هذه التصريحات ماصرح به الصهاينة عند دخولهم المسجد الأقصى بقولهم : اليوم انتقمنا لخيبر. فهم يبيتون الشر للعالم الاسلامى جميعه بالوصول إلى قبر الرسول محمد ﷺ فى المدينة المنورة و يخططون للرجوع إلى خيبر أى يخططون للقضاء على العالم الاسلامى أجمع ، وما صرح به اللبنى قائد الجيش البريطانى الذى دخل القدس فى الحرب العالمية إذ قال : الآن انتهت الحروب الصليبية . فاعداء الاسلام ما زالوا يعتبرون أنفسهم بأنهم يخوضون ضد الاسلام و المسلمين حربا عامة شاملة . إلى غير ذلك من التصريحات المتعددة التى لا يمكن إحصاؤها .

و يرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى السبيل السوى الذى يقيهم شر الأشرار و كيد الفجار . وهو استعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذى هو محيط باعدائهم ، فلا حول ولا قوة إلا به ، قال تعالى : « و إن تصبروا و تتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط » .

هذا هو الطريق إنه العزيمة والتقوى ، التماسك والارتباط بالله ، و ما استمسك المسلمون فى تاريخهم كله بعروة الله الوثقى وحدها إلا عزوا وانتصروا و وقاهم الله كيد أعدائهم ، و أصبحت كلمة الله هى العليا و كلمة الذين كفروا السفلى ، وما استمسك المسلمون فى تاريخهم الطويل بعروة أعدائهم ، وأخذوا بأفكارهم و أعمالهم إلا كتب الله عليهم الهزيمة ومكن لأعدائهم فيهم ، و أذل

رقابهم لهم و أذاقهم و بال أمرهم . . و التاريخ كله شاهد على أن كلمة الله خالدة ، وأن سنة الله لا تتخلف ، فمن عمى عن سنة الله المشهودة فى الأرض فلن ترى عيناه إلا آيات الذل والانكسار .

و من هنا كان الحصن الحصين الذى لا يمكن النفاذ منه و على المسلمين أن يتحصنوا به ، هو التمسك بحبل الله المتين بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، أى تقيد المسلمين بتعاليم الاسلام كلها - دون استثناء - التى أنزلها لسعادة البشرية فى الدنيا والآخرة .

« بقية المنشور على ص ٥٥ »

المبطلين و إيقاف الظالمين عند حدهم ، فحسن لهذه المعانى وندب الشرع إليه.

فتشريع المندوب إذن يقوم على أساس من رعاية النفوس التى لا يسهل عليها أداء المأمورات ، حتى إذا ما صقلت ورقت ، بادرت من تلقاء ذاتها إلى فعل المندوبات دون مشقة أو كسل ، فيعم خيرها و يستفيد المجتمع مما يصدر عنها ، و بهذا يتحقق فى المجتمع أكبر قدر ممكن من المصلحة . و تقل المفاسد إلى أقل قدر ممكن ، و هذا ما جاءت به الشريعة الاسلامية (٥) .

(٥) جاء فى منهاج السنة للامام ابن تيمية ج ١ ص ١٤٧ : ومعلوم أن الشريعة جاءت لتحصيل المصالح و تكميلها و تعطيل المفاسد و تقليلها بحسب الامكان .

فلسفة المندوب فى الشريعة الاسلامية

للدكتور عبدالكريم زيدان
مدرس الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق

المندوب فى الشريعة الاسلامية هو ما طلب الشارع فعله على وجه الاستحباب و الترجيح لا على وجه الحتم والالزام(١) ، مثل سنن الصلاة و التصدق على الفقراء والزواج للقادر عليه و هو فى حالة الاعتدال ونحو ذلك .

و المندوب كالواجب من جهة أن كلا منهما طلب الشارع فعله من المكلف ، ويختلفان فى أن الواجب مطلوب فعله على وجه الالزام ، بينما المندوب مطلوب فعله على وجه التفضيل والترجيح . و مع هذا الاختلاف فان الشريعة الاسلامية ترغب فى أداء المندوب و تنظر بعين الرضا لمن يقوم به و تثيب عليه و تحببه للمكلفين . و السؤال الذى نثيره هنا ، هو : إذا كان المندوب ترغب الشريعة فى وجوده وتدعو المكلفين إلى فعله و تحسنه فى أعينهم و تثيب عليه فلماذا لم تلزم الناس به كما ألزمتهم بالواجبات و الفرائض ؟ إن الجواب على هذا التساؤل نجده فى طبيعة الشريعة و خصائصها ، فمن خصائص الشريعة أنها واقعية لا خيالية بمعنى أن أحكامها ملاحظ فيها واقع النفس البشرية و نوازعها و مدى استعدادها لفعل الخير و ترك الشر ، فالنفوس ليست سواء فى هذا الاستعداد ، و هذه هى طبيعة النفوس البشرية ،

(١) كتابنا الوجيز فى أصول الفقه ص٣٠ .

فمن نفوس مطواعة لفعل الخير تستجيب بيسر لنداء الشريعة بل و لاشارتها و لايمائها و لاتجد فى هذه الاستجابة كلفة و لا مشقة ، بل تجد فيها السعادة و الحياة .

و من النفوس نفوس بطيئة فى عمل الخير لاتستجيب لنداء الشريعة بسهل ويسر بل بمشقة و تكاسل و تثاقل . وبناء على هذا الواقع الملموس فى النفوس البشرية المعلوم عند الله تعالى ، بارىء هذه النفوس ، « ألايعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » جاء تشريع المندوب فى الشريعة الاسلامية . وهذه الجملة تحتاج إلى شئ من البيان و التفصيل فأقول :

إن الشريعة الاسلامية تضع مستوى معيناً ترى من الضرورى أن يصله الناس و لا يجوز أن يتخلفوا عنه لأنه هو الحد الأدنى اللازم لصياغة الفرد الصياغة الاسلامية التى تمكن من إنشاء مجتمع إسلامى فاضل . إن هذا المستوى يتكون من جملة معانى وضحتها الشريعة و منها الفرائض ، فيلزم كل فرد أداء هذه الفرائض إذا ما توافرت شروط هذا الأداء ، وقد جعلت هذه الفرائض بحيث يستطيع القيام بها أقل الناس استعداداً لفعل الخير و استجابة لنداء الشريعة ، و من ثم يعاقب تارك هذه الفرائض . و لكن إزاء هذا المستوى الالزامى الواجب بلوغه من كل إنسان ، ترسم الشريعة مستوى آخر أرفع من الأول و أوسع منه ، و حببت للناس بلوغه و الاستقرار فيه ، و لكن لم تلزمهم بالارتفاع إليه لأن النفوس ليست واحدة فى القدرة على الوصول إليه فالزامهم به إرهاق لهم و حرج ، و من أصول الشريعة رفع الحرج عن الناس ، قال تعالى : « و ما جعل عليكم فى الدين من حرج » وهذا المستوى العالى المفتحة مسالكه للناس هو مجموعة من توجيهات الشريعة وأحكامها ، ومن

هذه المجموعة المندوبات ، و هذه بعض الأمثلة لها :

أولا : الصلاة ، منها ما هو فرض ، و منها ما هو مندوب وهو سنن الصلاة ، فقد جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم عن النبى ﷺ : « ما من عبد مسلم يصلى لله تعالى فى كل يوم ثنتى عشرة ركعة تطوعاً غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً فى الجنة ، أو إلا بنى له بيت فى الجنة » .

ثانياً : و فى إنفاق المال فى سبيل الخير و عون المحتاجين ، جاءت الشريعة الاسلامية بفريضة الزكاة ، و حببت للناس الانفاق بما هو خارج عن واجب الزكاة ، قال تعالى فى الزكاة : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . » (١) « إنما الصدقات للفقراء و المساكين و العاملين عليها و المؤلفة قلوبهم و فى الرقاب و الغارمين و فى سبيل الله و ابن السبيل فريضة من الله و الله عليم حكيم » (٢) و فى صدقة التطوع يقول الله تعالى : « و ما تنفقوا من خير فلأنفسكم و ما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف إليكم و أنتم لا تظلمون » (٣) .

ثالثاً : وفى الصيام فرض الله تعالى صيام رمضان كما جاء فى القرآن الكريم ، و ندب الرسول ﷺ صيام أيام أخر ، منها ما جاء فى الحديث الشريف عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أوصانى خليلى ﷺ بثلاث : صيام ثلاثة أيام من كل شهر و ركعتى الضحى و أن أوتر قبل أن أنام » (٤) .

رابعاً : وفى جرائم القتل العمدان شرع القصاص ، قال تعالى : « يا أيها

(١) سورة البقرة ، الآية ٤٣ .
(٢) سوره التوبة ، الآية . ٦٠ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٧٢ .
(٤) رياض الصالحين للنووى ص ٤٦٢ .

الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ... » (١) و ندب إلى العفو قال تعالى فى نفس الآية المتقدمة : « فمن عفى له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان » و فى آية أخرى : « و إن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، و لئن صبرتم لهو خير للصابرين » (٢) .

خامساً — و فى البيوع و الأشربة ، حبب الشارع للانسان أن يكون سهلا فى بيعه و شرائه بل و سائر معاملاته ، قال الرسول الكريم ﷺ : « رحم الله رجلا سمحاً إذا باع و إذا اشترى و إذا اقتضى » (٣) .

سادساً : الأمر بالمعرف والنهى عن المنكر فرض كفائى يجب أن يكون فى الأمة ، و لكن إذا كان الحاكم ظالماً باغياً لا يتسع صدره لسماع النصيحة إلى درجة أنه يقتل من يأمره و ينهاه ، فان هذا الفرض يسع الفرد تركه ، لا الأمة ، و لكن من المندوب إليه ، بالنسبة للفرد ، القيام بهذا الفرض و لو أدى ذلك إلى موته ، يدل على ذلك الحديث الشريف : « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب و رجل قال كلمة حق لسلطان جائر فقتله » فيفهم من هذا الحديث أن من المندوب إليه القيام بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و لو أدى ذلك إلى قتل الآمر ، ولا يعترض علينا بأن إلقاء النفس فى التهلكة لا يجوز ، و هذه تهلكة ، قال تعالى : « و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » « و لا تقتلوا أنفسكم » لأن الاستشهاد فى سبيل الله ليس بالتهلكة و إنما هو ضرب من ضروب الجهاد و ما يترتب عليه من تقوية نفوس المحقين وخذلان

« البقية على ص ٥١ »

(١) سورة البقرة ، الآية ١٧٨ .
(٢) سورة النحل ، الآية ١٢٦ .
(٣) رياض الصالحين ص ٤٩١ .

دراسات وأبحاث

كتاب « الزهد الكبير » للحافظ البيهقى

دراسة ، و عرض ، و تحقيق ،

بقلم : الدكتور تقى الدين الندوى

الحمد الله نحمده و نستعينه ونستغفره و نعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتدى ، و من يضلل فلن تجد له وليا مرشداً ، و صلى الله على سيدنا ومولانا محمد الذى عرض عليه جبل أحد ذهبا فامتنع واختار الآخرة ، وعلى آله و أصحابه أئمة الزهد والورع .

وبعد : فلقد كان للجانب المادى الذى يسيطر على الحركات الفكرية فى عالمنا المعاصر أثره السيئ فى انطلاق البشرية الأعمى نحو إشباع رغباتها والاستمتاع بشهواتها كتطبيق عملى نحو الفكر السائد فى هذه الأوساط ، مما أدى بالأنسانية إلى هذا المستوى الوضيع الذى انكبت فيه على لذات الجسد ، و أغفلت فيه مطالب الروح و أصبح الطابع الحيوانى هو الذى يحكم تصرفات الانسان فى كل مكان .

و مهما قيل عن أسباب انتشار الطوفان المادى فى هذا العصر وتبريره بموجة الكبت والاماتة الجسدية التى عمت أوربا فى عهد التسلط الكنسى ، فلا جدال فى أن منهج التربية الاسلامى قد استطاع الموءمة بين مطالب الروح و الجسد معاً ، وظل متفرداً بهذه الخاصية التى حرصت على توفير المتطلبات الروحية دون إجحاف بحاجات الجسد الفطرية « فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » .

و لقد نجح المسلمون الأوائل فى ترجمة هذا المنهج إلى واقع عملى على حد ما وصفوا به رهباناً بالليل و فرساناً بالنهار فلم تمنعهم كثره العبادة و صدق الورع من الضرب فى الأرض و عمارة الدنيا ، بل ساحوا فى أرجائها ، وانداحوا بين سهولها وهضابها مشيدين أعظم ما عرفته البشريه من روح الحضارة والمعرفة التى أقاموا عرشها على أعمدة خلقية قوامها حب الله والناس أجمعين .

و ظلت هـذه الرسالة تؤدى فى هداية الانسانيـة و تبصيرها دورها الخطير فى تحقيق الخلافة التى منحها الله أياها حتى تسرب إلى الشرق الاسلامى هذا الغاز الخانق من المادية الملحدة ، فكان ذلك نذيراً بضياع الملك و انحسار المد الاسلامى و خسارة الدين و الدنيا و تخلى المسلمين عن واجبهم فى قيادة العالم والأخذ بيده إلى الهدى والنور .

و ذلك بعد أن استهوتهم الشياطين و خطف أبصارهم بريق الباطل فتمرغوا فى تراب الأرض بحثاً عن زينتها و جريا وراء متعتها و صـدق الله العظيم إذ يقول : « و إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

لقـد أصبح لزاما على جمهرة علماء المسلمين العاملين ممن تحملوا أعباء الدعوة الاسلامية و باعوا أنفسهم لله واشتروا ما عنده أن يذودوا عن الفكرة بأقلامهم و ألسنتهم و أن يدعوا الانكار بالقلوب لغيرهم حتى لا يوصفوا بضعف الايمان .

و قـد رأيت من واجبي أن أسهم فى التصدى لهذا الوصف الشهوانى المهلك ببعث الأرواح و إمـدادها بالغذاء النقى من كتاب الله و سنة رسوله عليه الصلاة والسلام و إصلاح النفوس برياضتها على الصبر والطاعة و تذكير

المسلمين بحقيقة دنياهم و رفع الغشاوة عن عيونهم ليبصروا قوله تعالى « إنما مثل الحيـاة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها و ازينت و ظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصداً كأن لم تغن بالأمس .

و أظن أنه قـد آن الأوان لأن ينصرف الناس عن التهالك على المتع الزائلة والشهوات الفانية ، و أن يقبلوا على الله والدار الآخرة « و إن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » .

ومن خير ما يؤنس الناس فى وحشتهم هذه ويذكرهم بما يصلح نفوسهم وأرواحهم كتاب « الزهد الكبير » للحافظ البيهقى ولذلك اخترت لموضوع رسالتى الدكتوراه فى علوم الحديث الشريف تحقيق هذا الكتاب الجليل ، و لما ذكرته لفضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر أعجب به و شجعنى على ذلك . فحمداً لله لقد تم تحقيق هذا الكتاب و إنى إذ أخرجه إلى كافـة المسلمين فى مشارق الأرض و مغاربها بما حواه من خير عظيم بعد أن ظل فى مخطوطته محجوباً عن الأعين ردحاً طويلا من الزمن أتقدم إلى الله تبارك وتعالى بالشكر راجياً منه التوفيق والسداد .

و إن هذا الكتاب يحتوى على خمسة أجزاء فى مجلد واحد ، وقد قسمه مؤلفه إلى ستة فصول من غير أن يقدم لها بذكر أبواب للكتاب .

تكلم فى الفصل الأول عن بيان حقيقة الزهد و أنواعه ومن هو الجدير باسم الزهد .

و فى الفصل الثانى عن بيان العزلة والخول و فوائد العزلة و غوائلها و شرح أن أصل الجاه هو حب انتشار الصيت والاشتهار و ذلك خطر عظيم

والسلامـــة فى الخمول و أهل العلم لم يقصدوا الشهرة و لم يتعرضو لها و لا لأسبابها ، فان وقعت من قبل الله تعالى فروا عنها ، و كانوا يؤثرون الخمول ، و ذكر أن المذموم طلب الانسان الشهرة ، و أما وجودها من جهة الله تعالى من غير طلب الانسان فليس بمذموم .

و تكلم فى الفصل الثالث عما ينبغى من ترك الدنيا و مخالفـــة النفس و الهوى ، وبين أن لا مطمع فى سعادة الانسان إلا بكف النفس عن الهوى - وأن رأس ذلك قطع علاقة القلب عن الدنيا - وبالتجافى عن دار الغرور و الأنابة إلى دار الخلود ، و الاقبال على الله تعالى و إن ذلك لا يتم إلا بالاعراض عن الجاه والمال .

و تكلم فى الفصل الرابع عن الحث على قصر الأمل والمبادرة إلى العمل قبل بلوغ الأجل وبين أن الأمل مطبوع فى جميع بنى آدم كما ورد فى الحديث: لايزال قلب الكبير شاباً فى اثنتين ، حب الدنيا وطول الأمل ، ولولا الأمل ما تمنى أحد بعيش و لا طابت نفسه أن يشرع فى عمل من أعمال الدنيا ، و إنما المذمرم منه الاسترسال فيه وعدم الاستعداد لأمر الآخرة .

و فى الفصل الخامس حث على طلب الاجتهاد فى الطاعـــة و ملازمة العبودية و على اتباع الرسول والجهاد فى سبيله وذلك لأن الجهاد حقيقـــة : الاجتهاد فى حصول ما يحبه الله من الايمان والعمل الصالح ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان .

و فى الفصل السادس بين حقيقة الورع والتقوى و درجاتها .

و قد استعرض المؤلف فى أول كل فصل الأحاديث النبوية ثم أتبعها بأقوال الصحابة والتابعين وغيرهم من العلماء الربانيين .

ثم يختم كل فصل بما يحضره من الشعر فى موضوع الفصل .

إن النسخ الخطية التى حققت بواستطها كتاب الزهـــد الكبير للحافظ البيهقى هى ثلاث نسخ خطية .

الأولى : نسخة بدار الكتب المصرية عن فلم مأخوذ عن نسخة خطية بمكتبة « عارف حكمت » بالمدينة المنورة تحت رقم ١٤٢ - و يبلغ عدد أوراقها ١١٨ ورقة ، و فى كل صفحة ١٩ سطراً و فى كل سطر من ١٥ كلمة إلى ١٦ كلمة وهى مكونة من خمسة أجزاء فى مجلد واحد وهى كاملة وسليمة ومصححة و مقابلة وعليها سماعات و توقيعات كثيرة ، و قد نسخت بخط واضح وكتبت بتاريخ يوم الاثنين ١٥ من شهر ربيع الأول ٦٢٦ هـ و قـــد أتخذتها أصلا لتحقيق كتابى و رمزت لها بحرف « م » .

الثانيـة : نسخة خطية بالمكتبة الآصفية بالهند تحت رقم ١٢٣٥ حديث و هى مكتوبة سنة ١٣١٩ هـ منقولة عن أصل قديم ببلدة حيدرآباد - الهند ، و قد رمزت لها بحرف « ح » .

الثالثة : نسخة خطية بمكتبة بيرجندا السند - بباكستان الاسلامية ، وهى مكتوبة بخط الشاه إحسان أحمد سنة ١٣١١ هـ ، وقد رمزت لها بحرف « س » .

المنهج الذى انتهجته فى تحقيق هذا الكتاب يتلخص فى الأمور الآتية :

١ — الأول : المقدمة و هى : تشتمل على أبحاث :

ا — السبب الباعث على اختيار تحقيق هذا الكتاب .

ب — قد يظن قوم ممن لم يفقهوا الاسلام حق الفهم أن الزهد ليس من مقاصد الاسلام ولا علاقة له بالكتاب والسنة ، بل هو من مخترعات الصوفية و محدثاتهم وكذلك هناك طائفة من المتقشفين فى الاسلام بالغوا فى معنى الزهد

و ظنوا أن الزهد هو ترك الدنيا و ما عليها بالكلية ، فهذا هو الرهبانية التى ذمها القرآن الكريم فى قول الله تعالى : « و رهبانيـــة ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها » .

و كلا الفريقين لا علاقـــة لهم بالاسلام وتعاليمه ، و لذلك بينت معنى الزهد و درجاته و أقسامه و كل ما يتعلق به ، و شرحت أن الاسلام دين حى و رسالة خالدة ، أنه حى كالحياة نفسها ، و خالد كخلود الحقائق الطبيعية و نواميس الحياة ، إنه تقدير العزيز العليم ، وصنع الله الذى أتقن كل شئ ، و قد ظهر فى شكله النهائى و طوره الكامل ، و أعلن القرآن يوم عرفـــة ، « اليوم اكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام دينا » فهو يجمع بين الكمال الذى لا انتظار بعده لدين آخر و لا حاجة معه إلى رسالة جـــديدة و بين الحيوتة التى لا نفاد لها و النشاط الذى لا آخر له ، و لذلك استطاع أن يساير الحياة ويراقبها فى وقت واحد ويتابعها فى صلاحها و استقامتها و ينكر عليها حين انحرافها و زيغها ، فلا هو مساير مائع ككثير من الأديان المحرفة ولا هو مراقب جامد ككثير من الفلسفات النظرية ، وذلك هو مثل الدين الكامل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يشعر بشعور الناس و يعترف بحاجاتهم و يرشـــدهم فى مشاكلهم و يعارض فى اتجاهاتهم الفاسدة .

ج — استيعاب ذكر جميع المؤلفات التى ألفت فى الزهد .

د — ترجمة ضافية عن الحافظ البيهقى مؤلف كتاب « الزهد الكبير » ونشأته و حياته العلمية و دفاعه عن الامام الشافعى ، و مؤلفاته فى الحديث و غيره المخطوط منها و المطبوع .

و شيوخه و تلاميذه و بلغت تراجم شيوخه ٤٦ ترجمة وتراجم تلاميذه ١٥ ترجمه .

٢ - والثانى أنى نسخت الكتاب من النسخة الخطية بمكتبة « عارف حكمت » و قابلتها بباقى النسخ بالضبط و الاتقان ، فما وجدت بينها من اختلاف أو خطأ بينته بالهامش و قومت بعض النصوص التى لم يتضح لى وجه رسمها فى الأصل بما يقابلها من النسخ الأخرى .

٣ - و الثالث أنى ترجمت لكل راو من رواة النسخة و بينت صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف .

٤ - الرابع أنى قمت بتخريج جميع ما ورد فى كتاب الزهـــد من الروايات لا سيما الأحاديث المرفوعة .

٥ - الخامس أنى بينت ما قيل فى حكمها من صحة أو ضعف أو وضع عند علماء الجرح والتعديل .

و الحقيقة أن الحكم على الحديث صعب جداً إذا لم يوجد فى أحد الصحاح الستة والموطأ و مسند الامام أحمد ولا سيما إذا كان غريباً .

و فى هذا الكتاب بالذات كثير من الروايات التى لا توجد فى الصحاح الستة و لا فى الموطأ و لا فى المسند ، فحاولت تخريج الحديث أولا ثم حاولت البحث عن قول أحد من الأئمة المحدثين فى الحكم عليه فاذا وجدته اكتفيت به و إذا لم أجده فبعد التتبع و الاستقراء بينت درجة كل راو فى الاسناد حسب قواعد المحدثين ثم حكمت على الحديث .

مثلا حديث عمران بن حصين رقم ٩٥١ ، ليس فى الصحاح الستة ولا فى الموطأ و لا فى المسند و ما وجدت قول أحد من الأئمة فيه فبينت درجة

كل راو من رواته و حكمت أنه ضعيف لضعف أحد رواته و هو عمر بن حفص ، حيث قال النسائى فيه : إنه ليس بثقة .

و كذلك لو وجدت حكما لأحد الأئمة فى حديث ولم يبين سببه فانى لم أكتف بذلك بل أبين دليل حكمه و أشرحه .

مثلا حديث أنس رقم ١٦٦ - قال قال رسول الله ﷺ هل من أحد يمشى على الماء إلا ابتلت قدماه ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : كذلك صاحب الدنيا لا يسلم من الذنوب .

و هذا الحديث أخرجه المؤلف فى « شعب الايمان » و أخرجه السيوطى فى « الجامع الصغير » و رمز له بالضعف .

فسرحت النظر على رواة الحديث فما وجدت وجه الضعف إلا الحسن بن ذكوان .

قال الحافظ بن حجر فى تهذيب التهذيب (ص ٢٧٦) قال يحى بن معين أنه صاحب الأوابد ومنكر الحديث . ثم بحثت هل أحد من أرباب الصحاح الستة أخرج له رواية فوجدت أن الامام أبا داؤد أخرج عنه فى كتاب الطهارة و سكت على حديثه و المعروف أن ما سكت عليه أبو داؤد فهو صالح « تدريب الراوى » ٩٧ .

و كذلك سكت عليه المنذرى و لم يتكلم عليه فى تخريج السنن غير أن الحافظ ابن حجر ذكره فى « تلخيص الحبير » و لم يتكلم عليه بشئ و ذكره فى « فتح البارى » أنه أخرجه أبو داؤد و الحاكم باسناد حسن . فوجدت تناقضاً صريحاً فى كلام الحافظ ابن حجر فرجعت إلى « بذل المجهود فى حل أبى داؤد » فوجدت فيه أن سكوت المحدثين عليه من غير بيان لضعفه و أن قول

الحافظ ابن حجر أنه حسن عجيب لأن حسن بن ذكوان ضعيف ضعفه كثير من المحدثين فكيف يصلح الاحتجاج به ثم اطمئن قلبى و لذلك حكمت عليه بالضعف لضعف حسن بن ذكوان .

٦ - السادس أنى ذكرت فى تعليق الكتاب خمس مائة ترجمة من الرواة فيها كثير من التراجم التى تتعلق بالذين أخرج الحافظ البيهقى أقوالهم فى هذا الكتاب من العلماء الربانيين ، والحقيقة أنى ما وجدت بعض التراجم إلا بعد جهد وتعب شديدين ، لكن اعتنيت بها اعتناء تاماً ليعرف القارئ أن هؤلاء العلماء الربانيين يستقون من كتاب الله و سنة رسوله ، و أن هؤلاء هم الذين أقاموا دعائم الاسلام و شادوا أركانه على تقوى من الله و رضوان .

٧ - السابع أنى شرحت ما دق و غمض من ألفاظ الروايات و نقلت ما قيل فيها من شراح الحديث مما لا يخلو عن فائدة .

٨ - الثامن أنى قمت بترقيم الأحاديث والآثار و أقوال العلماء .

٩ - التاسع أنى تقدمت لكل فصل بكلام موجز وجامع مأخوذ من العلماء المحدثين وأهل الفقه والعلم .

١٠ - العاشر أنى ختمت رسالتى بفهارس جامعة لما ورد ذكره فى الكتاب من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية و أسماء الصحابة و التابعين والعلماء مرتبا لها على حروف المعجم .

و أرجو من الله العلى القدير أن يتقبل بجهودى المتواضع فى تحقيق هذا الكتاب و يوفقنى لخدمة السنة الشريفة على الدوام و إلى آخر اللحظات من حياتى و ما ذلك على الله بعزيز .

كتاب العلل للترمذى

[الحلقة الثالثة]

فضيلة الشيخ فضل الله الحيدرآبادى

١٠ــ باب ذكر ضعيف الرجال فى بيان الأحاديث ليس من الغيبة وكذا بيان أخطاء الرواة .

فانما حملهم على ذلك عندنا ـ و الله أعلم ـ النصيحة للمسلمين ، لا يظن بهم أنهم أرادوا الطعن على الناس والغيبة إنما أرادوا عندنا أن يبينوا ضعف هؤلآء لكى يعرفوا ، لأن بعض الذين ضعفوا كان صاحب بدعة ، وبعضهم كان متهماً فى الحديث ، و بعضهم كانوا أصحاب غفلة و كثرة خطأ ، فأراد لهؤلآء الأئمة أن يبينوا أحوالهم شفقة على الدين وتثبتاً ، لأن الشهادة فى الدين أحق أن يتثبت فيها من الشهادة فى الحقوق و الأموال .

و أخبرنى محمد بن إسماعيل حدثنا محمد بن يحيي بن سعيد القطان حدثنى أبى قال : سألت سفيان الثورى و شعبة و مالك بن أنس و سفيان بن عيينة عن الرجل يكون فيه تهمة أو ضعف ، أسكت أو أبين ؟ قالوا : بين .

حدثنا محمد بن رافع النيسابورى أخبرنا يحيي بن آدم قال : قيل لأبى بكر ابن عياش أن أناساً يجلسون و يجلس إليهم الناس و لا يستأهلون ؟ فقال أبو بكر بن عياش ! كل من جلس إليــه الناس و صاحب السنة ، إذا مات أحيي الله ذكره ، و المبتدع لا يذكر .

حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق أخبرنا النضر بن عبد الله الأصم أخبرنا إسماعيل بن زكريا عن عاصم عن ابن سيرين قال : كان فى الزمن الأول لا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة سألوا عن الاسناد لكى يأخذوا حديث أهل السنة و يدعوا حديث أهل البدع .

« باب ذكر تجريح الرجال ليس من الغيبة »

« قوله و كثرة خطأ » إنما قيد الخطأ بكثرة ، لأن النادر لم يسلم عنه كثير من الأئمة مع حفظهم ، فالجرح إما بكثرة الخطأ أو الاتهام بالكذب أو البدعة .

قوله « شفقة على الدين » لحفظ الدين و أهله عن ضلالتهم ، و ليس غرضهم منه الطعن عليهم و عيبهم ، و مثله يجوز شرعاً ، لأنه ليس بغيبة فى « التدريب » قال أبو تراب النخشى لأحمد بن حنبل : لا تغتاب العلماء ، فقال له أحمد : و يحك هــذا النصيحة ، ليس هـذا غيبة ، و قال بعض الصوفية لابن المبارك : تغتاب ، قال : أسكت ، إذا لم نبين كيف تعرف الحق من الباطل انتهى .

قوله « من الشهادة فى الحقوق ، إلخ » والعدالة فى شاهد الحقوق شرط بالقرآن و الحديث و إجماع الأئمة ، فكذا فى شاهد الدين ، و هى لا يمكن بدون البحث عن الرجال الذين حملوا الدين .

قوله « و أخبرنى ، إلخ » تفصيل ما أجمل أولا من الأئمة أرادوا أن يبينو أحوالهم من البدعه و الاتهام و كثرة الخطأ .

قوله « كل من جلس » للتدريس و لروايه الحديث »

قوله « والمبتدع لايذكر » أى لايذكره أصحابه فى أسانيدهم ، ولاروايتهم

لأن روايته لا تقبل ، وفيه دلالة على أن البدعة جرح ، ولا تؤخذ عن أهل البدعة قوله « ابن سيرين » هو محمد بن سيرين الأنصارى تابعى من أصحاب أبى هريرة توفى سنة ١١٠ فى شوال ، و له سبع و سبعون سنة .

قوله « فى الزمن الأول » أى فى زمن الصحابة ، لأن ابن سيرين كان تابعياً .

قوله « فلما وقعت الفتنة » لعل أراد بها ما وقعت فى عهد عثمان رضى الله عنه و ما بعدها بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فمن ههنا وقع الوضع فى الأحاديث ، و التدليس ، فاحتاجوا إلى الاسناد .

قوله « حديث أهل البدع » أى الزائغ عن السنة ـ قال السخاوى فى شرح « الألفية » قال ابن دقيق العيد : الذى تقرر عندنا أنه لا نعتبر المذاهب فى الرواية إذ لا نكفر أحداً من أهل القبلة بانكار ثابت قطعاً من الشريعة فاذا اعتبرنا ذلك و انضم إليه الورع و التقوى فقد حصل معتمداً الرواية انتهى .

و حاصله أنه لا فرق بين أهل السنة و أهل البدعة فى شرائط قبول الرواية و بعد وجودها تقبل الرواية عن أهل البدع كأهل السنة .

١١ ـ باب ابن المبارك يقول : الاسناد من الدين ، و ذكر المتروكين

حدثنا محمد بن على بن الحسن قال : سمعت عبدان يقول : قال عبد الله ابن المبارك : الاسناد عندنا من الدين ، لولا الاسناد لقال من شاء ما شاء ، فاذا قيل له : من حدثك ؟ بقى (أى سكت) .

حدثنا محمد بن على أخبرنا حبان بن موسى قال : ذكر لعبد الله بن المبارك حديث ، فقال : يحتاج لهذا أركان من آجر يعنى أنه ضعف إسناده .

حدثنا أحمد بن عبدة أخبر وهب بن زمعة عن عبد الله بن المبارك أنه

ترك حديث الحسن بن عمارة و الحسن بن دينار و إبراهيم بن محمد الأسلمى و مقاتل بن سليمان و عثمان البرى و روح بن مسافر و أبى شيبة الواسطى و عمرو بن ثابت و أيوب بن خويط و أيوب بن سويد و نصر بن طريف ـ هو أبو جراء ـ والحكم و حبيب .

الحكم روى له حديثاً فى كتاب الرقاق ثم تركه ، وقال حبيب لا أدرى .

قال أحمد بن عبده ، وسمعت عبدان قال : كان عبد الله بن المبارك قرأ أحاديث بكر بن خنيس ، فكان أخيراً إذا أتى عليها اعرض عنها وكان لا يذكره .

قال أحمد : و حدثنا أبو وهب قال : سموا لعبد الله بن المبارك رجلا يتهم فى الحديث فقال : لأن أقطع الطريق أحب إلى أن أحدث عنه ، وأخبرنى موسى بن حزام قال : سمعت يزيد بن هارون يقول : لا يحل لأحد أن يروى عن سليمان بن عمرو النخعى الكوفى .

حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو يحيى الحمانى قال : سمعت أبا حنيفة يقول : ما رأيت أحداً أكذب من جابر الجعفى و لا أفضل من عطاء بن أبى رباح .

قال أبو عيسى : و سمعت الجارود يقول : سمعت وكيعاً يقول : لولا جابر الجعفى لكان أهل الكوفة بغير حديث ، و لولا حماد لكان أهل الكوفة بغير فقه .

و سمعت أحمد بن الحسن يقول : كنا عند أحمد بن حنبل فذكروا من تجب عليه الجمعة ، فذكروا فيه عن بعض أهل العلم من التابعين و غيرهم ، فقلت : فيه عن النبى ﷺ حديث ، فقال : عن النبى ﷺ ؟ فقلت : نعم .

حدثنا أحمد بن الحسن حدثنا حجاج بن نصير حدثنا المعارك بن عباد

عن عبد الله بن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ الجمعة على من آواه الليلة أهله .

قال : فغضب أحمد بن حنبل ، و قال : استغفر ربك مرتين ، و إنما فعل هذا أحمد بن حنبل ، لأنه لم يصدق هذا عن النبى ﷺ لضعف إسناده ، لأنه لم يعرفه عن النبى ﷺ ، والحجاج بن نصير يضعف فى الحديث و عبد الله بن سعيد المقبرى ضعفه يحى بن سعيد القطان جداً فى الحديث .

« باب عبد الله بن المبارك يقول : الاسناد من الدين »

قوله « بقى » متحيراً فى جوابه فلا يحدث .

قوله « والحسن بن عمارة » مات سنة ١٥٣ ، كان يضع ، وأحاديثه موضوعة ضعيفة اتفاقاً .

قوله « الحسن بن دينار » متروك كذاب .

قوله « إبراهيم بن محمد الأسلمى » تركه ابن المبارك والناس .

قوله « مقاتل بن سليمان » قال ابن المبارك : أرم به .

قوله « عثمان البرى » هو عثمان بن مقسم أبو سلمة ، تركه ابن المبارك قال : كان قدريا ، ما جاء به لا نعرف .

قوله « أبى شيبة الواسطى » هو إبراهيم بن عثمان جد ابن أبى شيبة هالك .

قوله « عمرو بن ثابت » بن هرمز ، تركه ابن المبارك .

قوله « الحكم » هو الحكم ابن أبان ، توفى سنة ١٥٤ .

قوله « بكر بن خنيس » مات فى حدود السبعين و مائة .

قوله « أقطع الطريق » فيه دلالة على أن الاضلال فى الدين والدجل

فيه أعظم عن كل شئ ، لأن قطع الطريق من أكبر الكبائر ، فليحذر به علماء زماننا و من يدعى قرب الله بأنه من أولياء الله و أبنائهم .

قوله « عن سلمان بن عمرو النخعى » هو أبو داؤد النخعى الكذاب .

قوله « حدثنا حجاج بن نصير » أى قال أحمد بن الحسن : حدثنا إلخ .

١٢ - ذكر رواية من يتهم والغافل و من كثر خطاءه .

فكل من روى عنه حديث ممن يتهم أو يضعف لغفلته و كثرة خطائه ، و لا يعرف ذلك الحديث إلا من حديثه ، فلا يحتج به ، و قد روى غير واحد من الأئمة عن الضعفاء و بينوا أحوالهم للناس

حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن المنذر الباهلى أخبرنا يعلى بن عبيد قال : قال لنا سفيان الثورى : اتقوا الكلبى ، فقيل له : فانك تروى عنه ؟ قال : أنا أعرف صدقه من كذبه .

و أخبرنى محمد بن إسماعيل حدثنى يحيى بن معين حدثنى عفان عن أبى عوانة قال : لما مات الحسن البصرى اشتهيت كلامه ، فتتبعته عن أصحاب الحسن ، فأتيت به أبان بن أبى عياش ، فقرأه على كله عن الحسن ، فما استحل أن أروى عنه شيئاً .

و قد روى عن أبان بن أبى عياش غير واحد من الأئمة ، و إن كان فيه من الضعف والغفلة ما وصفه أبو عوانة و غيره ، فلا يغتر برواية الثقات عن الناس ، لأنه يروى عن ابن سيرين أنه قال : إن الرجل ليحدثنى فما أتهمه ، ولكن اتهم من فوقه .

و قد روى غير واحد عن إبراهيم النخعى عن علقمة عن عبد الله بن مسعود أن النبى ﷺ كان يقنت فى وتره قبل الركوع .

و روى أبان بن أبى عياش عن إبراهيم النخعى عن علقمة عن عبد الله بن مسعود أن النبى ﷺ كان يقنت فى وتره قبل الركوع .

هكذا روى سفيان الثورى عن أبان بن أبى عياش ، و روى بعضهم عن أبان بن أبى عياش بهذا الاسناد نحو هذا ، وزاد فيه قال عبد الله بن مسعود: أخبرتنى أمى أنها باتت عند النبى ﷺ ، فرأت النبى ﷺ قنت فى وتره قبل الركوع .

و أبان بن أبى عياش و إن كان قد وصف بالعبادة و الاجتهاد فهذا حالة فى الحديث والقوم كانوا أصحاب حفظ ، فرب رجل و إن كان صالحاً لا يقيم الشهادة و لا يحفظها .

فكل من كان متهماً فى الحديث بالكذب ، أو كان مغفلا يخطئى الكثير ، فالذى أختاره أكثر أهل الحديث من الأئمة أن لا يشتغل بالرواية عنه ، ألا ترى أن عبد الله بن المبارك حدث عن قوم من أهل العلم ، فلما تبين له أمرهم ترك الرواية عنهم .

و قد تكلم بعض أهل الحديث فى قوم من أجلة أهل العلم و ضعفوهم من قبل حفظهم و وثقهم آخرون من الأئمة بجلالتهم و صدقهم ، و إن كانوا قد وهموا فى بعض ما رووا

و قد تكلم يحيى بن سعيد القطان فى محمد بن عمرو ، ثم روى عنه ، حدثنا أبو بكر بن عبد القدوس بن محمد العطار البصرى أخبرنا على بن المدينى قال : سألت يحيى بن سعيد عن محمد بن عمرو بن علقمة ؟ فقال : تريد العفو أو تشدد ؟ قلت : بل أشدد ، فقال : ليس هو ممن تريد ، كان يقول أشياخنا أبو سلمة و يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب .

قال يحيى : و سألت مالك بن أنس عن محمد بن عمرو ؟ فقال فيه نحو ما قلت : .

قال على : قال يحيى : و محمد بن عمرو أعلى من سهيل بن أبى صالح ، و هو عندى فوق عبد الرحمن بن حرملة ، قال على : فقلت ليحيى : ما رأيت من عبد الرحمن بن حرملة ؟ قال : لو شئت أن ألقنه لفعلت ، قال : كان يلقن ؟ قال : نعم .

قال على : و لم يرو يحيى عن شريك و لا عن أبى بكر بن عياش ولا عن الربيع بن صحيح و لا عن المبارك بن فضالة .

« ذكر رواية من يتهم والغافل و من كثر خطاءه »

قوله « فكل إلخ » لما أثبت أن الجرح على رجال الحديث ليس من الطعن والغيبة فى شئ بدليلين ، الأول أن رجال الحديث من شهداء الدين فلابد لهم من التثبت بل هم أحق من شهداء الأموال والحقوق ، لأن الكذب فى الدين أعظم إضلالا من الحقوق و الأموال .

والثانى أن القدماء من الأئمة جرحوا على رجال الحديث و كشفوا عما فيهم ، و لا يظن بهم أن يرتكبوا ما نهى عنه ، ففيهم الأسوة الحسنة ، فبين حكم حديث هؤلاء فقال كل من روى عنه إلخ .

قوله « ممن يتهم » أى بكذب ، قال العراقى فى « الألفية » قال الترمذى : ما اتهم بكذب .

قوله « أو يضعف إلخ » أى لا بد فى قبول الرواية أن يكون الراوى ضابطاً ، و يعرف ضبطه ، بأن يوافق الثقات المتقنين فى رواياتهم غالباً و لو فى المعنى ، ولا تعتبر مخالفة النادرة ، فان كثرت مخالفته بهم ، فهو مخطئى

مختل الضبط غير حافظ ، فلا تقبل روايته .

قوله « إلا من حديثه » أى تفرد بتلك الرواية ذلك المخطئ أو المتهم ، و لا متابع له ولا شاهد ، و هو المنكر ، و مقابلة المعروف والحسن .

قوله « فلا يحتج به » أى بحديث من يتهم ، و بحديث من يضعف إذا تفرد ، أو لم يكن لهما متابعاً ولا شاهداً ، و أما إذا كان له متابعاً و شاهداً فيحتج بهما ، أى حديث المخطئ ومن يتهم ، يقبل عند الترمذى إذا روى من غير وجه .

و فى « التهذيب » فى ترجمة الحسن بن عمارة ، أحاديثه موضوعة كان يضع ، أجمع أهل الحديث على ترك حديثه ، قال أبو بكر البزار : لا يحتج أهل العلم بحديثه إذا انفرد ، انتهى .

و فيه دلالة على أنه إذا تابعه غيره يحتج به ، و إليه ذهب الترمذى حيث حسن ذلك الحديث ، و كذا حديث المخطئ .

قوله « و قد روى غير واحد إلخ » لما كان ههنا مظنة أن رواية من يتهم و رواية من يخطئ إذا لم يحتج بها ، فلا تجوز الرواية عنهم مع أن الأئمة رووا عنهم ، فدفعه أن الأئمة رووا عنهم مع بيان ضعفهم و حالهم و معرفة صدقه عن كذبه ، فلا تصح الرواية إلا إذا بين ضعفهم و عرف صدقهم عن كذبهم لا مطلقاً .

قوله « و زاد فيه » إلخ فتفرد بتلك الزيادة عن إبراهيم أبان بن عياش و لا يتابعه عليها أحد من أصحاب إبراهيم ، فتلك الزيادة خطأ منه لأن أبان ساء حفظه .

قوله « فالذى اختاره أكثر أهل الحديث إلخ » أى فى الرواية عنهم

اختلاف ، فالأكثر على منع الرواية و ذهب بعضهم إلى الرواية عنهم ببيان حالهم كما تقدم .

قوله « و وثقهم آخرون » أى الذين ساء حفظهم و هم أهل صدق ، و اختلفوا فيهم فبعضهم شد فى أمرهم فضعفهم ، و بعضهم وثقهم و سهل فى أمرهم فروى عنهم ، بل بعض من تكلم فيهم و ضعفهم روى عنه ، ولم يجتنب عن الرواية عنهم كيحى بن سعيد القطان أنه تكلم فى محمد بن عمرو و مع هذا روى عنه .

قوله « كان يقول أشياخنا » فى « التهذيب » و « الميزان » وكان يقول حدثنا أشياخنا أى يجمعهما فى رواياته مع أن من تلك الروايات ما هى عن أحدهما .

الإنتاج العلمي لأبناء ندوة العلماء

(الحلقة الخامسة)

الأستاذ نور عالم الأميني

التفسير و ما يتعلق به

١ـ « التفسير القيم » للامام ابن القيم الجوزية ، جمعه فضيلة الشيخ محمد أويس النجرامى الندوى — رئيس قسم التفسير فى دارالعلوم ندوة العلماء — من كتب الامام فى مختلف العلوم و الفنون ، حتى أصبح كتاباً مفرداً قيما فى التفسير أسماه «التفسير القيم» وقد حققه و علق عليه الأستاذ محمد حامد الفقى ، طبع منذ وقت بعيد فى مكة المكرمة ، وتداولته العلماء .

٢ ـ « تفسير سورة العصر » المعروف بـ « نظام الصلاح و الاصلاح » بقلم الأستاذ الكبير عبدالبارى الندوى .

٣ ـ « تعليم القرآن » بقلم الشيخ محمد أويس النجرامى الندوى ، فى الأردية ، عرض فيه التعاليم القرآنية الأخلاقية والدينية عرضا يتفق ومدارك الصغار فى مدارسنا الابتدائية و الثانوية . وقد قررت دار العلوم ندوة العلماء تدريسها فى مدرستها الثانوية ، منذ وقت طويل .

٤ — « ترجمات معانى القرآن الكريم و تطور فهمه عند الغرب » بقلم الدكتور عبدالعباس الندوى ، استعرض فيه ترجمات معانى القرآن الكريم فى مختلف اللغات و لاسيما الانجليزية ، و يلقى أضواء على الترجمات بأقلام المستشرقين و الأضرار التى جرتها هذه الترجمات ، و قد ظهر من دارالفتح - بيروت - منذ سنوات ،

٥ — « و أرض القرآن » بقلم العلامة الدكتور السيد سليمان الندوى ، فى الأردية .

يبحث عن جغرافية العرب و عن تاريخ العرب القديم . و قد وضع المؤلف رحمه الله هذه المباحث كمقدمة لـ « سيرة النبي » فأصبح كتاباً مستقلا قيما ، يفند أباطيل المستشرقين التى تتنافى مع كثير مما جاء فى القرآن الكريم ، من ذكر الأمم الغابرة ، و الأنبياء و الرسل ، و الأماكن المختلفة .

و فى الكتاب دراسة عميقة موسعة للمآخذ الحديثة والقديمة ، التى تبحث عن تاريخ العرب ، و الجغرافية العربية ، و تجارة العرب فيما قبل الاسلام ، و تاريخ بنى إبراهيم ، و فيه تأييد لمرويات القرآن بالمآخذ الحديثة ، والاكتشافات الجديدة ، و تحقيق للاماكن و القرى و الأمم التى جاء ذكرها فى القرآن ، تحقيقاً مزوداً بالمعلومات الوافرة .

كل ذلك فى ضوء التاريخ والاكتشافات الأثرية ، والروايات التفسيرية ، و الاسرائيليات ، و الشعر العربى ، و كتب تاريخ العرب القديم ، و كتب الجغرافية ، و أنساب العرب ، و الكتابات الاسرائيلية ، و كتابات الكتاب الرومانيين و اليونانيين ، و ما إليها .

٦ — « تبيان القرآن » فى الأردية للأستاذ أحمد حسن الندوى ، تفسير فى أسلوب سهل للغاية يقرب فهم القرآن إلى من ليس له عهد بالعربية .

٧ — « القرآن و تعاليمه » فى الأردية للأستاذ عبد القيوم الندوى ، عرض فيه تعاليم القرآن الأخلاقية و التربوية و الاصلاحية ، بأسلوب سهل تستسيغه العامة و الخاصة

و للأستاذ كتاب آخر يتصل بالموضوع و هو ٨— « علوم القرآن »

٩ ـ « كيف تدرس القرآن الكريم » فى الأردية ، للأستاذ الجليل محمد أويس النجرامى الندوى ،

إن لدراسة القرآن الكريم ـ كتاب رب العالمين الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ـ آداباً ، و قيوداً ، وحدوداً ، و شرائط ، يجب أن يلتزمها كل دارس وقارئ ، فان التغافل عنها ربما يؤدى إلى أخطاء تثقل ـ لا سمح الله ـ ميزان الاثم على حساب إثقال ميزان الثواب والحسنات ، و فى الكتاب هداية ذات إخلاص ، وإرشاد ذو عطف إلى هذه الآداب والقيود والحدود .

١٠ ـ « الكتاب الأول للقرآن الكريم » (قرآن مجيد كى پہلى كتاب) .

١١ ـ « الكتاب الثانى للقرآن الكريم » (قرآن مجيد كى دوسرى كتاب) للاستاذ عبد السلام القدوائى الندوى .

الفكر الاسلامى

١ ـ « الصراع بين الايمان و المادية » فى العربية بقلم سماحة الأستاذ الكبير السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى .

تأملات فى سورة الكهف فى ضوء دراسة موسعة ـ ذات الطابع الايمانى و العلمى ـ والتاريخ القديم والحديث ، والاكتشافات الحديثة ، و الملابسات الحاضرة ، و ليس تفسيراً لها على طريقة المفسرين ، كما يصرح به المؤلف فى بداية الكتاب .

جاء فى الحديث الشريف « من قرأ سورة الكهف كما أنزلت ، ثم خرج الدجال لم يسلط عليه ، و لم يكن عليه سبيل » وفى رواية « من قرأ الكهف يوم الجمعة ، فهو معصوم إلى ثمانية أيام ، من كل فتنة تكون ، فان خرج

الدجال عصم منه » و إلى غير ذلك من الروايات ، فما هى القوة الكامنة فى هذه السورة ، التى تعصم من الفتنة الكبرى الأخيرة ، و هى فتنة الدجال ؟ ، و ما هى الرابطة بينها و بين هذه العصمة ؟ ، و ما هو السر وراء تخصيصها دون غيرها من السور ؟ فى الكتاب إجابات على هذه الأسئلة كلها .

كل ذلك فى أسلوب يبعث الايمان والثقة ، والشوق والحنين ، تفرغ عن قراءة الكتاب و أنت على إيمان جازم و ثقة واعية بأن الله هومدبر الكون و مصرف الحياة ، و متحكم فى الأمور كلها ، فالخير كله منه ، والأمر أجمعه إليه ، إذاً فلا نافع و لا ضار إلا هو ، و من كان لله كان الله له .

و نقله الأستاذ محمد الحسنى رئيس تحرير مجلة « البعث الاسلامى » إلى الأردية و ظهرت فيها طبعات ، كما نقله إلى الأنجليزية ، الأستاذ محى الدين وظهر من المجمع الاسلامى العلمى ـ لكهنؤ ـ ، باسم « Faith Versus Materialism

٢ ـ « الصراع بين الفكرة الاسلامية و الفكرة الغربية فى الأقطار الاسلامية » بقلم الأستاذ نفسه .

إن فى الأقطار الاسلامية كلها صراعاً فكرياً رهيباً فى منتهى الشدة بين الأفكار والقيم الاسلامية و الأفكار والقيم الغربية ، و هو أضخم و أكبر مشكلة واقعية حقيقية تواجهها الأقطار الاسلامية ، ترسم علامة استفهام جلية واضحة أمامها ، و تتطلب جواباً حاسماً ، و هى (بكلمة المؤلف) .

« أى موقف تتخذه هذه البلاد نحو هذه الحضارة ؟ » .

« و أى منهج تسير عليه لتوفيق مجتمعها بالحياة العصرية ، و تحقيق مطالب العصر الحديث ؟ »

« وإلى أى مدى تثبت ذكاءها ، وشجاعتها الخلقية لمواجهة هذه المعضلة ؟ »

و فى الكتاب استعراض مكثف لهذه المشكلة التى هى فى صميم مشكلات

العالم الاسلامى والعربى ، و المواقف التى اتخذتها الدول الاسلامية ، و الأخطاء التى ارتكبتها ، و تنبيه إلى طريقة الاجابة الواضحة الصحيحة على تلك الأسئلة ، و هداية إلى طريقة النهضة بالمجتمع الاسلامى الذى بينما تجب عليه التمسك بالعقائد والأخلاق ومنهج الحياة الاسلامى الأفضل الذى قدم نموذجه الرسول ﷺ و الرعيل الأول ، إذا تقع عليه مسئولية القيادة و السيادة ، و الامامة و الوصاية ، والتوجيه والارشاد للعالم البشرى كله .

و قد تكررت طبعاته فى الكويت فى اللغة العربية ، و صدرت طبعتان بالأردية ، و طبعة فى الانجليزية بعنوان :

« Western Civilization Islam and Muslims »

٣ - « حديث مع الغرب » بقلم الشيخ الندوى نفسه .

دعا فيه المؤلف - الداعية الاسلامى - الغرب إلى أن يوجه عنايته إلى ما فيه خير الانسانية و صلاح البشرية ، و أن يستخدم إمكانياته الهائلة ، و أسبابه الوافرة ، و وسائله الزائدة ، استخداماً يعود بالخير على الانسانية جمعاء ، بدل التخريب والتدمير، والابادة والاغارة ، و إن هذه الامكانيات و الوسائل لمن مجرد الخير إذا رافقها الايمان ، و اتجهت الاتجاه الصحيح الذى يريده خالقها وفاطر هذا الكون ، وتخلت عن الانانية والكبرياء ، والغطرسة والخيلاء ، التى تجلب سخط الله و تسبب عذابه ، و تحول بين الاهتداء ، وتختم على القلوب والأسماع ، وتغطى الأبصار ، فلا ترى أنوار الهداية الباهرة النافذة.

و دعا الشباب الوافد إلى الغرب إلى أن يعيش كالداعى لا كالمجيب ، وكالقائد لا كالمنقاد ، و كالامام لا كالمؤتم ، و أن يعودوا إلى أوطانهم وهم أشد حبا لله ولرسوله - مثل شاعر الاسلام الدكتور محمد إقبال - و إيماناً بخلود

الرسالة المحمدية - على صاحبها الصلاة و السلام - و اعتزازاً بها ، و ثقة بصلاحيتها للبقاء و لقيادة الانسانيه جمعاء ، فى كل زمان و مكان ، و مهما تغيرت الملابسات .

ظهرت الطبعة العربية من دار الارشاد - بيروت — والأردية والانجليزية من المجمع الاسلامى العلمى - لكهنؤ - الهند — بعنوان

« Speaking Plainly, To the west »

٤ - « المسلمون و قضية فلسطين » بقلم المؤلف نفسه .

مجموع محاضرات و مقالات ، تتحدث عن الكوارث و النكبات التى أصابت العالم الاسلامى والعربى ، و عن أسبابها الحقيقية ، و تحللها تحليلا فى ضوء دراسة القرآن ، وسنة الله فى الكون والحياة .

صدرت مفردة فى صورة كتاب يقع فى ٢٠٠ صفحة من الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع ، و صدرت الطبعة الأردية من المجمع الاسلامى العلمى - لكهنؤ - الهند - .

٥ - « إلى الاسلام من جديد » بقلم المؤلف نفسه .

مجموع محاضرات ، توقظ الشعور الدينى والوعى الاسلامى و الحماسة الدينية فى المسلمين عامة ، والعرب خاصة ، وتعيد إليهم الثقة بأنفسهم ، وتذكرهم برسالتهم ، و تبصرهم بمبدئهم و مركزهم و غايتهم فى الكون والحياة .

طبعت لأول مرة فى القاهرة . وأخرى فى بيروت ، طبعته دار الارشاد .

٦ - « تجديد التعليم والتبليغ » بقلم الشيخ عبد البارى الندوى .

عرض فيه نظام الاسلام التعليمى و التبليغى ، عرضاً لو سار فى ضوئه المجتمع الاسلامى لتخلص من جميع الأغلال والأوهام والأصنام ، من القومية

والوطنية والجنسية التى يعانى منها هو منذ وقت طويل .

٧ - « تجديد الاقتصاد » بقلم المؤلف نفسه ، يعرض فيه نظام الاسلام الاقتصادى عرضاً جديداً ، يتجه بالانسان اتجاهاً صحيحاً يشعر بخطأ جميع النظم الحديثة الوضعية المتنوعة ، والنعرات الزائفة ، والوجهات والاتجاهات الخاطئة التى لا تسمن ولا تغنى من جوع .

٨ - « تجديد الدين » للمؤلف نفسه .

يذكر فيه المسلمين بهدفهم الأصيل و غايتهم الجذرية ، ويوصيهم بأن الصلاح و الفلاح و الفوز والنجاح ، كل ذلك منوط بأن يكونوا مسلمين فى معنى الكلمة ، و يدخلوا فى الاسلام كافة ، و و يشرح التدابير ، و يوضح الطريق ، و ينير السبيل .

تاريخ الاصلاح والتجديد والدعوة العزيمة

١ - « رجال الفكر والدعوة فى الاسلام » بقلم سماحة الشيخ الأستاذ الكبير أبى الحسن على الندوى .

يقول الكتاب (بتعبير يسير) إن الحياة متحركة متطورة متغيرة ، شبابها دائم ، ونموها مستمر ، إذا فلا يواجهها ، ولايصمد لها إلا دين زاخر بالحيوية والنشاط ، ، و يحمل من صلاحية البقاء والقوة رصيداً كافياً ومددا وافياً .

و ذلك يا أخى القارئ ! هو الاسلام والاسلام وحده ، فانه أثبت صلاحيته فى كل زمان و مكان وفى كل عصر و مصر ، و وجد فى كل مرحلة من رحلته الطويلة المتتابعة ومسافته البعيدة اللامتناهية من رجالات العمل والعزيمة أولى الفعالية كل نوع احتاج إليه ، ليجدد له قوته ، و نشاطه ، و يعيد إليه أصالته و فعاليته ، فاذا به سريع فى سيره ، نشيط فى عمله ، يؤدى رسالته

بقوة كبيرة ، وثقة مزيدة ، و حيوية وفيرة .

والكتاب يتحدث فى بسط وتفصيل عن تلك المحاولات الضخمة والجهود الجبارة المخلصة التى بذلها أبناء الاسلام الأوفياء فى مختلف الأعصار والأمصار ، فى سبيل الاصلاح والتجديد ، والدعوة والعزيمة ، و يستعرض تلك المجهودات المؤمنة استعراضاً ذا دراسة موسعة عميقة نافذة .

و يعرف بكبار رجال الدعوة والفكر و الجهاد ، عبر التاريخ الاسلامى ، و يدرس مآثرهم العلمية ، و خدماتهم الجليلة ، و جهودهم الاصلاحية ، والتجديدية ، وما أتت به من ثمار ناضجة يانعة ، فجنته الانسانية البائسة بأسرها على اختلاف العقائد والديانات والوجهات والاتجاهات .

و الكتاب فى ثلاثة أجزاء ، الجزء الأول يتناول الفترة ما بين القرن الأول الهجرى إلى القرن السابع الهجرى ، و كان قد وضعه أولا فى الأردية ثم نقله إلى العربية ، و تكررت فيهما طبعاته .

و الجزء الثانى يخص بعالم القرن السابع الهجرى الكبير و المصلح الجليل شيخ الاسلام الحافظ بن تيمية ويتحدث فى تفصيل عن مآثره العلمية وجهوده الاصلاحيه ، و مزاياه الكتابية والتأليفية و مصنفاته الجليلة ، و عن كبار تلاميذه ، و أتباعه ، كل ذلك يتسم بدراسة ذات طابع تحليلى .

وكان هذا الجزء كذلك فى الأردية ، فنقله الأستاذ سعيد الأعظمى الندوى مدير مجلة « البعث الاسلامى » إلى العربية و نشر تباعاً فى مجلة « البعث » و ظهرت طبعته الأولى فى اللغة العربية من دار القلم ، الكويت .

و الجزء الثالث يتحدث عن سلطان المشايخ نظام الدين أولياء ، و الشيخ الكبير شرف الدين يحيى المنيرى و عن مآثرهما الاصلاحية و جهودهما

التجديدية و عمن تخرج عليهما فى الاصلاح والتجديد ، و هذا الجزء كذلك فى الأردية و لما ينقل إلى العربية ، و حبذا لو تم ذلك .

و كل من الأجزاء الثلاثة قد نقل إلى الانجليزية و طبع فى جزءين باسم « Saviours of Islamic Spirit » و قد استقبل الكتاب بحفاوة بالغة فى كل من الأوساط ، العلميـة والدينية ، والأدبية ، و نال تنويهاً زائداً ، و إشادة حارة من الكتاب و الأدباء فى الانجليزية والأردية والعربية .

٢ ـ « إذا هبت ريح الايمان » لسماحة الأستاذ الجليل السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى .

كتاب يتحدث عن الامام أحمد بن عرفان الشهيد ، و جماعته ، ويروى تلك القصة ذات الايمان والاخلاص ، والحكايات الاسلامية والروائع الايمانية التى لم ترو بعد للعالم العربى ، و الكتاب وضع لقراء اللغة العربيـة ، فروعى الايجاز والاجمال ، غير أنه تصوير صادق ، أمين دقيق ، رقيق مرقق ، للجهاد الطويل المرير فى سبيل العقيـدة والدين ، و محاولة الاصلاح و التجديد ، التى تمثلت فيها البطولة النادرة ، والهمة العالية ، يجب أن يقرأ ذلك كل شاب مسلم يتمنى عودة مجد الاسلام .

و يجمع بين الأسلوب الأدبى الرفيع و الأسلوب القصصى الجميل ،والأسلوب العلمى والدينى الرصين ، و يستحق أن يدخل فى المقررات الدراسية فى المعاهد التعليمية ، فيعلم اللغة والأدب مع العقيدة والدين ، والايمان والاخلاص ، والتضحية والايثار ، والوفاء والفداء ، و ما أحوجنا اليوم إلى أمثال هذه الكتب !

يقول المؤلف فى مقدمة الكتاب :

« كنت إذا قرأت روايات الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى » (م ٣٥٦ هـ)

و أنا فى أيام الطلب ، و ريعان الشباب ، أوخذ بسحر أدبها و لغتها العربية الفصحى ، و تعبيرها الجميل ، و تصويرهـا البـارع لخواطر النفس و أشكال الحياة ، و كنت أغار على هذه العربية الفصحى ، التى نزل بها القرآن ، وتكلم بها الرسول و أصحابه ، أن تسخر للأغراض التافهـة ـ إذا لم أقل الخسيسة ـ التى ألف لها هذا الكتاب ، وأن تضيع فى الألحان والأغانى ، ورنات المثالث والمثانى ، و تصور جوانب الضعف و مواضع السقط و مكامن الريب فى المجتمع الاسلامى الذى عاش فى القرون المشهود لها بالخير ، و كنت أتمنى أن تستخدم هذه الملكة البيانية ، و هـذه الثروة اللغوية الفذة ، و هـذا الأسلوب القصصى الخفيف الجميل ، فى مقاصد شريفة ، وأغراض نبيلة ، و فى تصوير جانب مشرق من تاريخ جميل مشرق .

و قد حاولت بقدر استطاعتى أن أحاكى هذا الأسلوب فى هذه القصص التى اخترتها على عجل ، من تاريخ الاصلاح والتجديد فى الهند » .

و كان الاقبال على الكتاب نادراً ، فنفدت طبعته الأولى التى ظهرت من « دار عرفات » دائرة الشيخ علم الله الحسنى ـ رائى بريلى ـ الهند ، فى مدة يسيرة جداً ، فظهرت طبعته الثانية من « دار القلم » الكويت ، و تكاد تنفد هـذه الطبعة الكويتية .

و ترجم بالأردية فاستقبل بحماس و حنين و شوق .

٣ ـ « الحركة الاسلامية الأولى فى الهند » بقلم الأستاذ مسعود الندوى فى الأردية .

دراسة ذات تحليل لحركة الاصلاح والتجديد والدعوة والجهاد ـ والتربية والاجتهاد التى قام بها الامام السيد أحمد بن عرفان و الشيخ إسماعيل الشهيدان

و أتباعهما ، مصحوبة بالرد القاطع على الأراجيف و الأكاذيب التى اصطنعت لتشويه الحقيقة فى الشرق والغرب و على يد الكتاب « الكبار » .

٤ - « تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند » فى العربية ، بقلم الأستاذ نفسه .

تحدث فيه المؤلف فى تفصيل عن الاسلام فى الهند ، كيف دخل ، و كيف انتشر ، وماذا أثر ، وماذا واجه من صعوبات وعوائق فى الأدوار المختلفة ، و كيف كسرها ؟ واستعرض استعراضاً موسعاً ، تلك الجهود الحثيثة التى بذلها أبناء الاسلام البررة فى الهند لمقاومة حركة الالحاد واللادينية التى قامت فى وجه الاسلام حينا لآخر ، وكيف تغلبوا عليها . (يتبع)

« بقية المنشور على ص ٩٢ »

و قد دانوا بأعظمهم نضالا ... و علماً لا بأجرتهم عيونا
فيتحدون أخلاقاً عذاباً ... و يأتلفون مجتمعاً رزينا
فما عرف الخلاعة فى بنات ... ولا عرف التخنث فى بنينا
ولم يتشدقوا بقشور علم ... ولم يتقلبوا فى الملحدينا
و لم يتبجحوا فى كل أمر ... خطير كى يقال مثقفونا
كذلك أخرج الاسلام قومى ... شباباً مخلصاً حراً أميناً
و علمه الكرامة كيف تبنى ... غيابى أن يقيد أو يهونا
دعونى من أمان كاذبات ... فلم أجد المنى إلا ظنونا
وهاتوا لى من الايمان نوراً ... وقووا بين جنبى اليقينا
أمد يدى فانتزع الرواسى ... و أبنى المجد مؤتلقاً مكينا

٥٠ ر٠

فى رياض الشعر والأدب

الساعة الخامسة و العشرون

هل ستسقط الحضارة الغربية ؟ و من سيخلفها ؟

هذان السؤالان طرحناهما فى بلادنا ، و كنا وما زلنا نجابه عند الطرح برد عنيف من أبناء جلدتنا تتهاطل علينا الالقاب واللافتات من رجعية إلى تخلف ذهني إلى تعصب أعمى ، وذلك اعتقادا جازما منهم أن هذه الحضارة خالدة ، و أن الانسان فيها سعيد كأعظم ما تكون السعادة ما دامت هذه الحضارة قد وفرت له كل وسائل الرفاه بل أكثر من المطلوب فماذا يرجو بعد هذا كله ؟

و « الساعة الخامسة و العشرون » هو عنوان لقصة تجيب على هذين السؤالين نقدمهما لأبناء جلدتنا راجين منهم الاطلاع عليها فهى ليست لكاتب عربى رجعى ، بل هى لكاتب غربى من رومانيا اسمه « فرجيل جيورجيو »

❖ القصة مركبة من ستة فصول وصفحاتها تتجاوز ٣٠٠ صفحة ، كل هذه الصفحات تحمل فى طياتها تجربة رجل أنتجته هذه الحضارة فرفضها عندما اتضحت أمامه الرؤية و تكشفت له الحقائق .

❖ ألف الكاتب قصته و نشرها فى فرنسا لان نظام بلاده لا يسمح بمثل هذه المنشورات ، فى بلاده يصادر الفكر و تقاوم الحرية ، و هذا طبيعى ، فمتى عاشت الشيوعية فى وسط حر ؟ الماركسية - كما بينها لنا أصحابها

و كما بينها لنا تاريخها — لا تتحقق الا بدكتاتورية الطبقة أى بقتل الجانب الحى من الانسان و هى حريته .

و فيما يلى بعض المقتطفات من هذا الكتاب الجيد :

❖ يقول «تريان» بطل القصة فى حوار له مع صديقه

«إن المجتمع الآلى يستطيع ابتداع رفاهية ، لكنه لايستطيع بناء الفكر ، وبدون الفكر لا توجد العبقرية ، و إن مجتمعا محروما من رجال عباقرة مقضى عليه بالفناء ، إن المجتمع الآلى الذى يحتل محل المجتمع الغربى ، و الذى سيكتسح سطح الأرض سيفنى هو الآخر : »

و يواصل « تريان » حديثه فيقول : إن هذا الانهيار فى المجتمع الآلى سيعقبه اعتراف بالموهبات الانسانية و العقلية ، و سينبثق هذا النور العظيم من الشرق و لا شك من آسيا و لكنه ليس من روسيا ، إن الروس قد انحنوا خاضعين أمام نور الغرب الكهربائى فلن يبلغوا تلك المرحلة . و لن يعيشوا ليروا الاشراق ، سيكتسح رجل الشرق المجتمع الآلى وسيستعمل النور الكهربائى لانارة الشوارع و البيوت و لكن لن يبلغ به مرتبة الرقيق ، لن يرفع له معابد و صوامع كماهو الحال اليوم « فى بربرية المجتمع الآلى الغربى» إنه لن يضئ ، بنور «النيون» خطوط الفكر والقلب إن رجل الشرق ، سيجعل من نفسه سيداً للآلات وللمجتمع الآلى ، مستعيناً بعقله ، كما يستعين رئيس الفرقة الموسيقية ، بعبقريته المستمدة من الجرس الموسيقى ، لكنك لن تصل إلى تلك المرحلة لأننا سنحيا فى الزمن الذى يخشع فيه الانسان أمام شمس الكهرباء كالبربرى المتوحش » .

❖ كان والد تريان راهباً مسيحياً سأله صديق ابنه هذا السؤال :

« ياأبانا إذا تحققت نبوءات « تريان » وكان الانسان مقضياً عليه أن يعامل كالرقيق فهل تستطيع الكنيسة عمل شئ فى مصلحة المجتمع الحاضر ؟ إذا كانت الكنيسة تعجز عن انقاذ المخلوق البشرى فى هذه الساعات المحرجة فماذا ستكون مهمتها عندئذ ؟ » .

فكر الراهب برهة ثم أجاب : « إن الكنيسة لاتستطيع حماية المجتمعات بل إنها تضمن سلامة الأشخاص الذين تتألف منهم تلك المجتمعات » .

❖ تحدث والد « تريان» مرة لابنه فقال : إننا نعمل بكل قوانا ضد خيرنا الخاص و ضد الله على الأخص . و ذلك هو آخر منحدر البشرية ، فى يوم من الأيام سوف ينقرض هذا المجتمع كما انقرض من قبل عدد كبير خلال حقبات التاريخ و قبل أن يبدأ التاريخ ، إن الرجال يحاولون إنقاذ هذا المجتمع بنظام منطقى فى حين أن ذلك النظام بالذات هو الذى يقضى عليه . هذه الجريمة التى لقيتها فى المعتقلات .

تعليق :

لقد اكتفيت بالتقاط بعض المواقف التى لها وزن فى تقييم الحضارة الحديثة و تركت الأحداث القصصية ليطلع عليها القارى بصورة مباشرة لأنها فى غاية من الروعة و الجمال الفنى .

❖ الساعة الخامسة و العشرون : هى كما فسرها المؤلف على لسان بطله «تريان» اللحظة التى تكون فيها محاولة الانقاذ عديمة الجدوى ، بل إن قيام المسيح لن يجدى فتيلا ، إنها ليست الساعة الأخيرة ، بل هى ساعة بعد الساعة الأخيرة ساعة المجتمع الغربى ، إنها الساعة الحاضرة . الساعة الدقيقة المضبوطة

❖ الساعة الخامسة و العشرون . . هى شهادة رجل على انهيار حضارته

❊ الساعة الخامسة والعشرون : هى وثيقة تؤكد على أننا لنا رسالة يمكنها إنقاذ الانسان من الدمار الرهيب .

❊ الساعة الخامسة و العشرون : مثال للقصة الهادفة، وللكلمة الصادقة، وللأدب الحى الذى يتفاعل و حياة الأديب ، هذا الأدب الذى نرجوه كبديل لفوضى الكلمات عندنا والتى اعتبرناها ثورة الأدب و ما هى فى حقيقة الأمر إلا مأساة الأدب ومأساة الأمة .

❊ الساعة الخامسة و العشرون : هى وثيقة تؤكد على أننا لنا رسالة الحائرين المتألمين لوضعية أمتهم و لوضعية الانسان الذى يعاصرونه .

❊ الساعة الخامسة و العشرون : هى نذير « لكل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » نرجو أن يطلع عليها الناس ، كل الناس ، وخاصة المفتونين بالغرب ليعلموا مصير هذا العملاق صاحب الأرجل الفخارية أما من اشتد عنادهم فاننا نقول لهم : «أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة و آثاراً فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون » .

« المعرفة » تونس

إلهى . . . لا تعذبنى

لأبى العتاهية

إلـهى ، لا تعـــذبنى ، فانى
مقر بالذى قـــد كان منى
و مالى حيلـــة إلا رجائى
و عفوك إن عفوت وحسن ظنى
و كم من زلة لى فى الخطـايا
و أنت علـى ذو فضل و من
إذا فكـــرت فى ندمى عليهـــا
عضضت أناملى ، و قرعت سنى
يظن الناس بى خيراً ، و إنى
لشر الناس ، إن لم تعف عنى
أجن بزهـرة الدنيـــا جنوناً
و أقطع طول عمرى بالتمنى
و بين يدى محتبس طويـل
كأنى قـــد دعيت له. كأنى !
و لو أنى صدقت الزهد فيهـا
قلبـت لأهلهـــا ظهـــر المجن

ملكنا هـذه الدنيا قرونا ... واخضعها جدود خالدونا
و سطرنا صحائف من ضياء ... فما نسى الزمان و لانسينا
حملناها سيوفاً لامعات ... غداة الروع تأبى أن تلينا
إذا خرجت من الأغماد يوما ... رأيت الهول والفتح المبينا
وكنا حين يأخذنا ولى ... بطغيان ندوس له الجبينا
تفيض قلوبنا بالهدى بأسا ... فما نغضى عن الظلم الجفونا
وما فتىء الزمان يدور حتى ... مضى بالمجد قوم آخرونا
وأصبح لايرى فى الركب قومى ... و قد عاشوا أئمته سنينا
و آلمنى وآلم كل حر .... سؤال الدهر: أين المسلمونا؟
ترى هل يرجع الماضى؟فانى ... أذوب لذلك الماضى حنينا
بنينا حقبة فى الأرض ملكا ... يدعمه شباب طامحونا
شباب ذللوا سبل المعالى ... وماعرفوا سوى الاسلام دينا
تعهدهم فأنبتهم نباتاً ... كريماً طاب فى الدنيا غصونا
هم وردوا الحياض مباركات ... فسالت عندهم ماء معينا
إذا شهدوا الوغى كانوا كماة ... يدكون المعاقل و الحصونا
و إن جن المساء فلا تراهم ... من الاشفاق إلاساجدينا
شباب لم تحطمه الليالى ... و لم يسلم إلى الخصم العرينا
ولم تشهد هم الأقداح يوما ... و قد ملؤا نواديهم مجونا
وما عرفوا الأغانى ماتعسات ... ولكن العلا صيغت لحونا

« البقية على ص ٨٦ »

صور و أوضاع

محمد الحسنى

١ ـ العدو الذكى أحسن من الصديق الغبى

فى المثل الفارسى يقولون : إن العدو العاقل الذكى أحسن من الصديق الجاهل الغبى .

و هـذا المثل يصدق على كارتر رئيس أمريكا القادم و فورد ، الرئيس الراحل ، و نحن لا نفرق بين الاثنين فى السياسة العدائية أو السياسة العدوانية نحو العرب ، فهما فى ذلك سواء ، و قديماً قال المعرى

ألا إنما الأيام أبناء واحد ... و هذى الليالى كلها أخوات

و إنما نفرق بين الغباوة السياسية والنباهة السياسة ، بين سياسة الملفات والتقريرات و الحسابات الاليكترونية ، والمخابرات الرسمية ، والمؤامرات الفاشلة والتهديدات الفارغة ، وسياسة التراجع ، والانهزام ، والفضائح والاعترافات ، و بين سياسة العقل والذكاء ، والمنطق السليم ، و سياسة المقارنة بين الخسارة و الربح ، والتمييز بين الصديق و العدو ، أو بعبارة أوجز سياسة الأصالة والنبوغ والعمق و سياسة المبادرة والثقة وانجاز الوعد ، و لذلك نرجو - بناء على بعض تصريحات كارتر الانتخابية و نقده اللاذع على السياسة الأمريكية - أنه سوف يربأ بنفسه عن هذه المهازل السياسية القديمة ، والمستوى الوضيع

من الدبلوماسية . وإذا وقف هذا الموقف اتضحت له الرؤية طبعاً ، وانكشفت عليه آفاق و جوانب جديدة من السياسة العربية والسياسة العالمية لم تنكشف على سلفه من أجل سياسة الجهل والبلادة ، و سياسة التبجح والغرور و المراوغة والحيلة ، مراوغة الثعالب ، و حيلة الصبيان .

فوداعاً للعهد البائد ، و وداعاً ليكنسجر المهندس المعمارى الأول لهـــذه السياسة ، وداعاً إلى غير لقاء .

٢ ــ أما العرب

أما العرب فلا عبرة عندهم بوجه جديد ، (بأى وجـه من الوجوه) إن ذهاب فورد ، و فوز كارتر لا يقدم فى القضية و لا يؤخر .

لماذا ؟ .

لأن مفتاح القضية بيد العرب أنفسهم ، ولا أعنى به الذهب الأسود الذى يفيض و يتدفق فى البلاد العربية .

أريد به مفتاح الايمان الحى النابض ، الذى يتدفق به قلب كل مسلم فى البلاد العربية ، هذا « الذهب الأسود » الذى يفيض فى داخل كل بيت ، وفى كل شارع و فى كل سوق .

هذا الذهب الأسود صار مدفوناً تحت الرماد ، وتراكمت عليها الأنقاض والأحجار ، والصخور ، منذ زمن بعيد ، فصار يحتاج إلى تنقيب جديد ، فما هو هذا التنقيب !

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

هـــذه الارادة الصادقة و الهمة العالية ، والثبات على العقيدة و المبدأ ، والترفع عن ملاهى الدنيا و زخارفها ، والتسامى عن بيع الضمائر و الألسنـــة

والأقلام ، وعن المساومة والمزاد العلنى أو السرى ، هو تنقيب هذا الايمان ، و هو لا يحتاج إلى ماكينات الغرب وأدوات الغرب ، و خبراء الغرب .

هـذا الجهد المبذول فى التنقيب من عند أنفسنا ، سيفتح لنا باذن الله ، أبواب السماء .

« أو من كان ميتاً فأحييناه ، وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » .

٣ ــ أما نحن الهنود

أما نحن الهنود . . . فأمرنا و أمركم فى هذا سواء . .

إلا أننا عالة عليكم فى الايمان ، معترفون بفضلكم علينا و على آبائنا و أجدادنا ، فبكم وعلى أيديكم هدانا الله إلى هذا الدين . و أنقذنا من ظلام الشرك والوثنية والخرافات والأوهام .

هذا المفتاح ، هو مفتاح الدعوة والمرابطة والثبات على هذا الثغر الدقيق من ثغور الاسلام ، هذا الوطن الاسلامى الكبير الذى نهض فيه أئمة وأعلام ، و قامت فيه سوق العلم و ازدهرت فيـــه حضارة اعترف بفضلها ، و رقتها و عذوبتها و جمعها بين المحاسن والفضائل ، علماء التاريخ ، وعلماء الحضارة .

هـــذا البلد الكبير بل القارة الواسعة ، تنتظر من أبنائها المسلمين اليوم إيماناً أقوى ، ودعوة أوسع ، ونظاماً أشمل ، و مرابطة دقيقة و مراقبة أمينة ، لما يتجدد فى العالم من مشكلات الحضارة ، و مشكلات الثقافة ، و مشكلات العلم ، إنها تريد منهم أن يغيروا ما بأنفسهم .

يغيروا ما بأنفسهم . . فيكونوا أشد حرصاً على مبادئهم ، وأشد تمسكا بدينهم ، و أشد غيرة على مقومات حضارتهم وأصالتهم الفكرية لا أن يتغيروا

مع هبوب الرياح .

و أن ينهضوا بهذه الدعوة الخالدة للانسانيـــة كلها ، و يعرفوا واجبهم الايمانى و الخلقى و الدعوى الـكبير نحو المواطنين عامـــة ، فهم ركاب سفينة واحدة ، وهم المسؤلون - بحكم إيمانهم - عن مصير هـذه السفينة » و كذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً » .

٤ ــ فراسة اقبال

قال إقبال « إذا رأيت النجوم شاحبـة منكدرة فاعلم أن الفجر قريب ، و صـــدق شاعر الاسلام ، فالمؤمن كالشمس لا تغرب مطلقاً ، إنه لا يعرف الزوال والأفول ما دام قوى الايمان ، قوى الثقة بالله ، كبير الاعتداد بالنفس كثير الأهتزاز بالاسلام ، عميق الصلة بذخيرة الغيب ومدد السماء . . . . هنالك لا تنتكس رايته ، ولا يخيب حظه ، و لا يعثر جده . ولا يضره كيد كائد ، وحسد حاسد ومكر ماكر ، وخيانة خائن » ولوكان بعضهم لبعض ظهيراً ،

و ذلك لأنه ربط ناصيـــته بفاطر السماوات والأرض ، و خالق الموت والحياة ، المعز ، المذل ، الخافض ، الرافع ، العزيز الحكيم ، الرحمن الرحيم .

فلا تسأل عن طمأنينـته واستقراره ، و لا تسأل عن طريه و إهتزازه ولا تسأل عن معارفه و علومه ، وعن نزاهته وسموه و لا تسأل عن سماحة يده ، و حرصه الشديد على خير الانسانية و فلاحها ، و إسعاد جميع طوائف بنى آدم بدون تمييز عنصرى و تعصب طائفى .

و لا تسأل عن قلبه الـكبير و عقله النير ، وعلمه الواسع ، وفراسته الصادقة و همته العالية .

و حدث عن البحر ولا حرج !

بين فقه الاسلام و أخلاق الاسلام

[مقتطفات هامـــة من حـــديث أجراه مندوب « أخبار العالم الاسلامى » بمكة ، مع المؤرخ المصرى الـكبير الدكتور أحمد شلبى الأستاذ بكليـــة دار العلوم بجامعة القاهرة]

مستوى شبابنا فى ثقافته الاسلامية :

س : من خلال مركزكم الاكاديمى وصلاتكم المستمرة مع أوساط الشباب الجامعى فى مصر و اندونيسيا و السودان و غيرها ، ما هو رأيكم فى مستوى الشباب المسلم من حيث ثقافته الاسلامية و ما هى مقترحاتكم حول رفع ذلك المستوى بما يتلاءم مع المستقبل الحضارى الذى تقبل عليه الأمة الاسلامية .

ج : فى الحق فى هذا الموضوع سنبدأ جانباً أخر غير الجانب اللامع عندما تسألنى عن الشباب المسلم ، و عندما تسألنى عن الثقافة الاسلامية و الحضارة الاسلامية أقول لك بشئ واضح من الصراحة إننا فى حاجة إلى جهود وجهود كبيرة . . إذا أردتنى أن أكون صريحاً و هو واجبى كمسلم و كأستـــاذ فى الجامعات الاسلامية أريد أن أقول لك إن كثيرين من الناس يعرفون معرفة جيدة (فقه الاسلام) و لـكنهم لا يعرفون (أخلاق الاسلام) و هذه مشكلة كبرى ! ! أخلاق الاسلام نعتبرها قمة بين الاتجاهات الاخلاقية فى العالم ، لـكنها لا تدرس ، يدرس الناس الوضوء و باب الصلاة و باب الزكاة و أبواباً هكذا ، لـكن لا يدرسون أخلاق الاسلام ولا جمال الاسلام قد يفسر الرجل

آيات الغيبة والنميمة ، لكنه يغتاب ! لأنه يفسرها مادياً و لكنه لا يطبقها روحياً و لا يحسها ، و لا يشيعها ! و قد يفسر آيات التعاون « وتعاونوا على البر والتقوى » لكنه لا يتعاون ! ! و هكذا . .

شبابنا محتاج إلى إبراز الروح الاسلامية ، إلى إبراز الحضارة الاسلامية بجوانبها المتعددة التى تشمل رأى الاسلام فى الفكر ، ورأى الاسلام فى السياسة ، و رأى الاسلام فى الاقتصاد ، و رأى الاسلام فى الحياة الاجتماعية ، و رأى الاسلام فى السلم و الحرب . ورأى الاسلام فى كل شئ ، لأن الاسلام ليس دين عبادة فقط و إنما هو دين الدنيا كذلك ، رتب لنا شؤون الدنيا كما رتب لنا شؤون الآخرة . . فنحن فى هذا المجال لانزال فى (ألف باء) نحتاج إلى عناية كبيرة لتطوير الدراسات و إعادتها إلى لون الرعيل الأول ، لأن فى فترة الظلام فى القرون الوسطى ، أتجهنا بالفكر إلى الناحية المادية ، نريد أن نحى الناحية الروحية فى التفكير الاسلامى و هو جانب للأسف كما قلت لك قائم لكن الأمل كبير أن نعيد إليه الضوء .

التاريخ الاسلامى هل تعاد صياغته :

س : وجه العديد من رجال الفكر الاسلامى الأنظار إلى أنه من الضرورى إعادة صياغة التاريخ الاسلامى من جديد بروح تحليلية محايدة و واعية فما هو رأيكم فى ذلك ؟ .

ج : الحقيقة أننى عندما بدأت أتخصص فى التاريخ الاسلامى واقرأ جوانبه و أنا فى العشرين من العمر و أكتب تاريخ العالم الاسلامى و أنا كتبت تاريخ العالم الاسلامى كله - فى موسوعة التاريخ الاسلامى ، التى تشمل تاريخ العالم الاسلامى كله من أول الاسلام وحتى الآن فى جميع البلاد الاسلامية فى ، ثمانية أجزاء كبرى ترجمت إلى عدة لغات .

و أنا أكتب هذا التاريخ قابلت مشكلات ، مشكلات دقيقة جداً وتحتاج إلى دقة فى كتابتها ، ففى كثير من الأحوال كتب تاريخ شخص أو تاريخ دولة فى عهد أعدائها أو بأقلام أعدائها ، فشوه تاريخها . . فمثلا حتى أوضح لك ، تاريخ الدولة الأموية ، متى كتب ؟ . كتب فى عهد الدولة العباسية لأن فى العهد الأموى لم يكن التدوين قد ظهر بعد . . إذا تاريخ الدولة الأموية كتب فى عهد الدولة العباسية و هى عدوة للدولة الأموية ، فكبروا سيئاتها و أزالوا حسناتها ، و هكذا مع إضافة سيئات جديدة إلى سيئاتها . . هذا تكرر مثلا فى مصر ، الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى ، قتلته أخته ست الملك ، ثم كتبت تاريخه ، فاظهرته على أنه كان رجلا مجنوناً ويعمل أشياء ساذجة وحرم الملوخية هذا ليس صحيحاً ، لكن أعداءه هم الذين كتبوا تاريخه .

إذا جئتنى و قفزت بك إلى التاريخ الحديث أقول لك ، أنى كتبت فيه كتاباً جديداً اسمه (مصر فى حربين) أدرس فيه تاريخ مصر المرتبط بحرب ٦٧ وحرب ٧٣ والذى يبرز أسباب الهزيمة و دعائم النصر . . الكتاب اسمه (مصر فى حربين) أنا أقول فى هذا الكتاب كلاماً واضحاً جداً ، وأنه أوشك تاريخ عبد الناصر أن يظهر للعالم على غير حقيقته ، كانت قد سخرت فى مدحه الكلمة المقولة و الكلمة المكتوبة و كثيراً ما كانت الكلمة المقولة أو المكتوبة بعيدة عن الواقع . . فمثلا هزمنا فى حرب ٥٦ و وصلت جيوش الأعداء إلى بور سعيد وتوقفت قناة السويس و أخذوا كل سيناء ولكن قالوا أننا انتصرنا .

إذا هذا التاريخ يحتاج إلى تحقيق مرة أخرى .

الشيخ المفتى محمد شفيع فى ذمة الله

توفى فضيلة الشيخ المفتى محمد شفيع الديوبندى فى ١٠/١١ ١٣٩٦ فانا لله و إنا إليه راجعون ، بعد ما قضى من عمره اثنين و ثمانين عاماً .

كان المفتى محمد شفيع من طليعة علماء شبه القارة الهندية الذين اشتهروا بشخصية فذة وخدمات علمية جليلة فانه درس فى دارالعلوم ديوبند ورأس قسم الافتاء ، وكان من مسترشدى حكيم الأمة الشيخ أشرف على التهانوى وانتقل إلى باكستان إثر تقسيم البلاد و أسس مدرسة للعلوم الاسلامية و الدينية و اشتغل بالدرس والتأليف ، وأدى فريضة الحج مرات ، وكان مصدر قوة ودعم للحركات الاسلامية والاجتماعية للمسلمين وقد وقف موقف الصمود فى وجه التيارات الفكرية المنحرفة

و كانت حياته كلها حافلة بالمجهودات العلمية و الدينية و تحتل أعماله مكانة مرموقة فى الأوساط العلمية والدينية و فى الطبقة المثقفة .

فان وفاته ليست خسارة أسرة واحدة و مدرسة واحدة بل إنها خسارة العلوم الدينية والمدارس الاسلامية كلها ، ندعو الله سبحانه و تعالى أن يتغمده برحمته و مغفرته و يدخله فسيح جنانه ويلهم أهله و ذويه الصبر و السلوان .

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

رئيس التحرير: محمد الحسني

مدير التحرير: سعيد الأعظمي

المراسلات

العنوان: "البعث الإسلامي" ندوة العلماء لكهنؤ - الهند - ص ب ٩٣

برقيا: NADWA LUCKNOW

الهاتف: ٢٩١٧٤ - ٢٢٩٤٨ - ٢٩٧٤٧

الاشتراكات السنوية

فى الهند	٢٥ روبية ، ثمن النسخة : روبيتان
فى العالم العربى	٦ دولارات أمريكية أو ما يعادلها بالبريد العادى ١٢ دولاراً بالبريد الجوى
فى أفريقيا الغربية والشمالية وأمريكا وأوربا	١٥ دولاراً بالبريد الجوى ٦ دولارات بالبريد العادى
فى باكستان	٥٠ روبية بالبريد العادى مع أجرة البريد

الاشتراكات فى باكستان ترسل إلى مجلة "البلاغ" كراچى ، رقم ١٤ - باكستان .